

## المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار

### الجزء الرابع

( 165 ) من 167 )

التالي

الفهرس

السابق

### ▲ وفي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة أقيم داميانو بطرغا بالإسكندرية

وكان يعقوبياً فأقام سنًا وثلاثين سنة ومات في ثامن عشري بونة وفي أيامه خربت الديارات وأقام الملكية لهم بالإسكندرية بطرغا منانياً اسممه أنتاس فأقام خمس سنين ومات فأقيم بعده يوحنا وكان منانياً ولقب القائم بالحق فأقام خمسة أشهر ومات فأقيم بعده يوحنا القائم بالأمر وكان ملكياً فأقام إحدى عشرة سنة ومات وفي أيام الملك طيباريوس ملك الروم بنى النصارى بالمداين مدائن كسرى هيكلًا وبنوا أيضاً بمدينة واسط هيكلًا آخر.

وفي أيام الملك موريق قيصر زعم راهب اسمه مارون أن المسيح عليه السلام طبعان ومشية واحدة واقنوم واحد فتبعه على رأيه أهل حماه وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم ودانوا بقوله فعرفوا بين النصارى بالمارونية فلما مات مارون بنوا على اسمه دير مارون بحماه.

وفي أيام فوقا ملك الروم بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر فخرّبوا كنائس القدس وفلسطين وعمامة بلاد الشام وقتلوا النصارى بأجمعهم وأتوا إلى مصر في طلبهم فقتلوا منهم أمة كبيرة وسبوا منهم سبيًا لا يدخل تحت حصر وساعدتهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم وأقبلوا نحو الفرس من طبرية وجبل الجليل وقرية الناصرة ومدينة صور وبلاد القدس فنالوا من النصارى كل منال وأعظموا النكاية فيهم وخرّبوا لهم كنيسةين بالقدس وحرّقوا أماكنهم وأخذوا قطعة من عود الصليب وأسروا بطرك القدس وكثيراً من أصحابه ثم مضى كسرى بنفسه من العراق لغزو قسطنطينية تخت ملك الروم فحاصرها أربع عشرة سنة وفي أيام فوقا أقيم يوحنا الرحوم بطرك الإسكندرية على الملكية فدبر أرض مصر كلها عشر سنين ومات بقبرص وهو فارّ من الفرس فخلا كرسى إسكندرية من البطركية سبع سنين لخلوّ أرض مصر والشام من الروم واختفي من بقي بها من النصارى خوفاً من الفرس وقدم اليعاقبة نسطاسيوس بطرغا فأقام اثنتي عشرة سنة ومات في ثاني عشري كيهك سنة ثلاثين وثلثمائة لدقطنيانوس فاستردّ ما كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس اليعاقبة ورم ما شعته الفرس منها وكانت إقامته بمدينة الإسكندرية فأرسل إليه انباسيوس بطرك أنطاكية هدية صحبة عدّة كثيرة من الأساقفة ثم قدم عليه زائراً فتلقاه وسر بقدمه وصارت أرض مصر في أيامه جميعها يعاقبة لخلوّها من الروم فثارت اليهود في أثناء ذلك بمدينة صور وراسلوا بقيتهم في بلادهم وتواعدوا على الإيقاع بالنصارى وقتلهم فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفاً وهدموا كنائس النصارى خارج صور فقوي النصارى عليهم وكاثروهم فانهزم اليهود هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير وكان هرقل قد ملك الروم بقسطنطينية وغلب الفرص بحيلة دبرها على كسرى حتى رحل عنهم ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ويجدد ما خرّبه الفرس منها فخرج إليه اليهود من طبرية وغيرها وقدموا له

الهدايا الجليلة وطلبوا منه أن يؤمّتهم ويحلف لهم على ذلك فأمنهم وحلف لهم ثم دخل القدس وقد تلقاه النصارى بالأناجيل والصلبان والبخور والشموع المشعلة فوجد المدينة وكنائسها وتمامتها خراباً فسأه ذلك وتوجع له وأعلمه النصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وإيقاعهم بالنصارى وتخريبهم الكنائس وأنهم كانوا أشدّ نكاية لهم من الفرس وقاموا قياماً كبيراً في قتلهم عن آخرهم وحثوا هرقل على الوقية بهم وحسنوا له ذلك فاحتج عليهم بما كان من تأمينه لهم وحلفه فأفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنه لا حرج عليه في قتلهم فإنهم عملوا عليه حيلة حتى أمّتهم من غير أن يعلم بما كان منهم وأنهم يقومون عنه بكفارة يمينه بأن يلتزموا ويلزموا النصارى بصوم جمعة في كلّ سنة عنه على ممرّ الزمان والدهور فمال إلى قولهم وأوقع باليهود وقية شنعاء أبادهم جميعهم فيها حتى لم يبق في ممالك الروم بمصر والشام منهم إلا من فر واختفى فكتب البطارقة والأساقفة إلى جميع البلاد بإلزام النصارى بصوم أسبوع في السنة فالتزموا صومه إلى اليوم وعرفت عندهم بجمعة هرقل وتقدّم هرقل بعمارة الكنائس والديارات وأنفق فيها مالاً كبيراً.

وفي أيامه أقيم ادراسلون بطرك اليعاقبة بالإسكندرية فأقام ست سنين ومات في ثامن طوبه فخربت الديارات في مدّة بطركيته وأقيم بعده على اليعاقبة بنيامين فعمر الدير الذي يقال له دير أبوشاي ودير سيده أبو بشاي وهما في وادي هبيب فأقام تسعاً وثلاثين سنة ملك الفرس منها مصر عشر سنين ثم قدم هرقل فقتل الفرس بمصر وأقام فيرش بطرك الإسكندرية وكان منانياً وطلب بنيامين ليقتله فلم يقدر عليه لفراره منه وكان هرقل مارونياً فظفر بمينا أخي بنيامين فأحرقه بالنار عداوة لليعاقبة وعاد إلى القسطنطينية فأظهر الله دين الإسلام في أيامه وخرج ملك مصر والشام من يد النصارى وصار النصارى ذمّة للمسلمين فكانت مدّة النصارى منذ رفع المسيح إلى أن فتحت مصر وصار النصارى من القبط ذمّة للمسلمين.

منها مدة كونهم تحت أيدي الروم يقتلونهم أبرح قتل بالصلب والتحريق بالنار والرجم بالحجارة وتقطيع الأعضاء.

ومنها مدّة استيلائهم بتتصر الملوك.

دخول النصارى في طاعة المسلمين من قبط مصر في طاعة المسلمين وأدائهم الجزية واتخاذهم ذمّة لهم وما كان في ذلك من الحوادث والأنباء.

اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم أحدهما أهل الدولة وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الملكية وكانت عدّتهم تزيد على ثلاثمائة ألف رومي.

والقسم الآخر عامّة أهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الإسرائيلي الأصل من غيره وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة ومنهم الأساقفة والقسوس ونحوهم ومنهم أهل الفلاحة والزرع ومنهم أهل الخدمة والمهنة وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع مناكتهم ويوجب قتل بعضهم بعضاً ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدّاً فإنهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه إلى مصر قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعاً لهم عن بلادهم فقاتلهم

المسلمون وغلّبهم على الحصن كما تقدّم ذكره لطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها وأقرّهم على ما بأيديهم من الأراضي وغيرها وصاروا معه عوناً للمسلمين على الروم حتى هزمهم الله تعالى وأخرجهم من أرض مصر وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة أمائاً في سنة عشرين من الهجرة فسره ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسيّ بطركيته بعدما غاب عنه ثلاث عشرة سنة منها في ملك فارس لمصر عشر سنين وبقاها بعد قدوم هرقل إلى مصر فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر ودياراتها كلها وانفردوا بها دون الملكية ويذكر علماء الأخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمائاً على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وأنه جلس في وسط صحن كنيسة القمامة فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده ثم جلس وقال للبطرك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي وقالوا هاهنا صلى عمر وكتب كتاباً يتضمن أنه لا يُصلي أحد من المسلمين على الدرجة إلا واحد واحد ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها ولا يؤذنون عليها وأنه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجداً وكان فوقها تراب كثير فتناول عمر رضي الله عنه من التراب في ثوبه فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء وعمر المسجد الأقصى أمام الصخرة فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة في حرم الأقصى وذلك سنة خمس وستين من الهجرة ثم إن عمر رضي الله عنه أتى بيت لحم وصلى في كنيسته عند الخشبة التي ولد فيها المسيح وكتب سجلاً بأيدي النصارى أن لا يُصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين إلا رجل بعد رجل ولا يجتمعوا فيه للصلاة ولا يؤذنون عليه ولما مات البطرك بنيامين في سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالإسكندرية في إمارة عمرو الثانية قدّم اليعاقبة بعده أغانو فأقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمسين وهو الذي بنى كنيسة مرقص بالإسكندرية فلم تزل إلى أن هُدمت في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان في أيامه الغلاء مدّة ثلاث سنين وكان يهتم بالضعفاء فأقيم بعده إيساك وكان يعقوبياً فأقام سنتين وأحد عشر شهراً ومات فقدّم اليعاقبة بعده سيمون السريانيّ فأقام سبع سنين ونصفاً ومات وفي أيامه قدم رسول أهل الهند في طلب أسقف يقيمه لهم فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان وأقام غيره وخلا بعد موته كرسي الإسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك ثم قدّم اليعاقبة في سنة إحدى وثمانين الإسكندروس فقام أربعاً وعشرين سنة ونصفاً وقيل خمساً وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفي أيامه أمر عبد العزيز بن مروان فأمر بإحصاء الرهبان فأحصوا وأخذت منهم الجزية عن كلّ راهب دينار ولما ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشتدّ على النصارى واقتدى به قرّة بن شريك أيضاً في ولايته على مصر وأنزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها وكان عبد الله بن الحبحاب متولي الخراج قد زاد على القبط قيراطاً في كلّ دينار فانقض عليه عامّة الحوف الشرقيّ من القبط فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم عدّة وافرة في سنة سبع ومائة واشتدّ أيضاً أسامة بن زيد التنوخيّ متولي الخراج على النصارى وأوقع بهم وأخذ أموالهم ووسم أيدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه فكل من وجده بغير وسم قطع يده وكتب إلى الأعمال بأن من وجد من النصارى وليس معه منشور أن يؤخذ منه عشرة دنائير ثم كبس الديارات وقبض على عدّة من الرهبان بغير وسم فضرب أعناق بعضهم وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت الضرب ثم هدمت الكنائس وكسرت الصلبان ومحيت التماثيل وكسرت الأصنام بأجمعها وكانت كثيرة في سنة أربع ومائة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك فلما قام هشام بن عبد الملك في الخلافة كتب إلى مصر بأن يجري النصارى على عوايدهم وما بأيديهم من العهد فقدم حنظلة بن صفوان أميراً على مصر في ولايته الثانية فتشددّ على النصارى وزاد في الخراج وأحصى الناس والبهايم وجعل على كلّ نصرانيّ وسمّاً صورة أسد وتتبعهم فمن وجده بغير وسم قطع يده ثم أقام اليعاقبة بعد موت الإسكندروس بطركاً اسمه قسيماً فأقام خمسة عشر شهراً ومات فقدّموا بعده تادرس في سنة تسع ومائة بعد إحدى عشرة سنة.

وفي أيامه أحدثت كنيسة يوقنا بخط الحمراء ظاهر مدينة مصر في سنة سبع عشرة ومائة فقام جماعة من المسلمين على الوليد بن رفاعة أمير مصر بسببها.

### ▲ وفي سنة عشرين ومائة قَدَمَ اليعاقبة ميخائيل بطرغا

فأقام ثلاثًا وعشرين سنة ومات.

وفي أيامه انتقض القبط بالصعيد وحاربوا العمال في سنة إحدى وعشرين فحاربوا وقتل كثير منهم ثم خرج جنس بسمنود وحارب وقتل في الحرب وقتل معه قبط كثير في سنة اثنتين وثلاثين ومات ثم خالفت القبط برشيد فبعث إليهم مروان بن محمد لما قدم مصر وهزمهم وقبض عبد الملك بن موسى بن نصير أمير مصر على البطرک ميخائيل فاعتقله وألزمه بمال فسار بأساقفته في أعمال مصر يسأل أهلها فوجدهم في شدائد فعاد إلى الفسطاط ودفع إلى عبد الملك ما حصل له فأفرج عنه فنزل به بلاء كبير من مروان وبطش به وبالنصارى وأحرق مصر وغلاتها وأسر عدّة من النساء المترهبات ببعض الديارات وراود واحدة منهنّ عن نفسها فاحتالت عليه ودفعته عنها بأن رغبته في دهن معها إذا ادهن به الإنسان لا يعمل فيه السلاح وأوثقته بأن مكنته من التجربة في نفسها فتمت حيلتها عليه وأخرجت زيتًا ادهنت به ثم مدّت عنقها فضربها بسيفه أطار رأسها فعلم أنها اختارت الموت على الزنا وما زال البطرک والنصارى في الحديد مع مروان إلى أن قُتل ببوصير فأفرج عنهم.

وأما الملكية فإن ملك الروم لاون أقام قسيمًا بطرک الملكية بالإسكندرية في سنة سبع ومائة فمضى ومعه هدية إلى هشام بن عبد الملك فكتب له برّد كنائس الملكية إليهم فأخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة وكان الملكية أقاموا سبعًا وسبعين سنة بغير بطرک في مصر من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى خلافة هشام بن عبد الملك فغلب اليعاقبة في هذه المدّة على جميع كنائس مصر وأقاموا بها منهم أساقفة وبعث إليهم أهل بلاد النوبة في طلب أساقفة فبعثوا إليهم من أساقفة اليعاقبة فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة.

ثم لما مات ميخائيل قَدَمَ اليعاقبة في سنة ست وأربعين ومائة انبامسنا فأقام سبع سنين ومات.

وفي أيامه خرج القبط بناحية سخا وأخرجوا العمال في سنة خمسين ومائة وصاروا في جمع فبعث إليهم يزيد بن حاتم بن قبيصة أمير مصر عسكريًا فاتاهم القبط ليلاً وقتلوا عدّة من المسلمين وهزموا باقيهم فاشتد البلاء على النصارى واحتاجوا إلى أكل الجيف وهُدمت الكنائس المحدثّة بمصر فهدمت كنيسة مريم المجاورة لأبي شنودة بمصر وهدمت كنائس محارس قسطنطين فيبذل النصارى لسليمان بن علي أمير مصر في تركها خمسين ألف دينار فأبى فلما ولي بعده موسى بن عيسى أذن لهم في بنائها فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قاضي مصر واحتجا بأنّ بناءها من عمارة البلاد وبأن الكنائس التي بمصر لم تبن إلا في الإسلام في زمن الصحابة والتابعين فلما مات انبامسنا قَدَمَ اليعاقبة بعده يوحنا فأقام ثلاثًا وعشرين سنة ومات.

وفي أيامه خرج القبط ببلييت سنة ست وخمسين فبعث إليهم موسى بن عليّ أمير مصر وهزمهم وقَدَمَ بعده اليعاقبة مرقى الجديد فأقام عشرين سنة وسبعين يومًا ومات.

وفي أيامه كانت الفتنة بين الأمين والمأمون فانتهبت النصارى بالإسكندرية وأحرقت لهم مواضع عديدة وأحرقت ديارات وادي هيبب ونهبت فلم يبق بها من رهبانها إلا نفر قليل.

وفي أيامه مضى بطرك الملكية إلى بغداد وعالج بعض خطايا أهل الخليفة فإنه كان حاذقًا بالطب فلما عوفيت كتب له بردّ كنائس الملكية التي تغلب عليها اليعاقبة بمصر فاستردّها منهم وأقام في بطركية الملكية أربعين سنة ومات ثم قدّم اليعاقبة بعد مرقص يعقوب في سنة إحدى عشرة ومائتين فأقام عشر سنين وثمانية أشهر ومات.

وفي أيامه عمرت الديارات وعاد الرهبان إليها وعمرت كنيسة بالقدس لمن يرد من نصارى مصر وقدم عليه ديونوسيس بطرك إنطاكية فكرمه حتى عاد إلى كرسيه وفي أيامه انتقض القبط في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الإفشين حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسبى أكثرهم ومن حينئذ دُلت القبط في جميع أرض مصر ولم يقدر أحد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان وغلبهم المسلمون على عامة القرى فرجعوا من المحاربة إلى المكايمة واستعمال المكر والحيلة ومكايمة المسلمين وعملوا كتاب الخراج فكانت لهم وللمسلمين أخبار كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

ثم قدّم اليعاقبة سيماون بطركًا في سنة اثنتين وعشرين ومائتين فأقام سنة ومات وقيل بل أقام سبعة أشهر وستة عشر يومًا فخلا كرسيّ البطركة بعده سنة وسبعة وعشرين يومًا وقدّم اليعاقبة يوساب في دير بومقار بوادي هبيب في سنة سبع وعشرين ومائتين فأقام ثماني عشرة سنة ومات.

وفي أيامه قدم مصر يعقوب مطران الحبشة وقد نفته زوجة ملكهم.

وأقامت عوضه أسقفًا فبعث ملك الحبشة يطلب إعادته من البطرك فبعث به إليه وبعث أيضًا عدّة أساقفة إلى إفريقية.

وفي أيامه مات بطرك إنطاكية الوارد إلى مصر في السنة الخامسة عشرة من بطركيته.

وفي أيامه أمر المتوكل على الله في سنة خمس وثلاثين ومائتين أهل الذمّة بلبس الطبالسة العسلية وشدّ الزنابير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السرج وعمل رقعتين على لباس رجالهم تخالفان لون الثوب قدر كلّ واحدة منهما أربع أصابع ولون كلّ واحدة منهما غير لون الأخرى ومن خرج من نسائهم تلبس إزارًا عسليًا ومنعهم من لباس المناطق وأمر بهدم بيعهم المحدثّة وبأخذ العشر من منازلهم وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم ونهى أن يظهرها في شعائهم صليبيًا وأن لا يشعلوا في الطريق نارًا وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض وكتب بذلك إلى الأفاق ثم أمر في سنة تسع وثلاثين أهل الذمّة بلبس دراعتين عسليتين على الذرايع والأقبية وبالاقْتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراديين.

فلما مات يوساب في سنة اثنتين وأربعين ومائتين خلا الكرسي بعده ثلاثين يومًا وقدّم اليعاقبة قسيسًا بدير بحنس يدعى بميكائيل في البطركية فأقام سنة وخمسة أشهر ومات فدفن بدير بومقار وهو أول بطرك دفن فيه فخلا الكرسيّ بعده أحدًا وثمانين يومًا ثم قدم اليعاقبة في سنة أربع وأربعين ومائتين شماسًا بدير بومقار اسمه قسيما فأقام في البطركية سبع سنين وخمسة أشهر ومات فخلا الكرسيّ بعده أحدًا وخمسين يومًا.

وفي أيامه أمر نوفيل بن ميخائيل ملك الروم بمحو الصور من الكنائس وأن لا تبقى صورة في كنيسة وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قيم كنيسة أنه عمل في صورة مريم عليها السلام شبه ثدي يخرج منه لبن ينقط في يوم عيدها فكشف عن ذلك فإذا هو مصنوع ليأخذ به القيم المال فضرب

عنقه وأبطل الصور من الكنائس فبعث إليه قسيماً بطرك اليعاقبة وناظره حتى سمح بإعادة الصور على ما كانت عليه ثم قدّم اليعاقبة ساتير بطرگا فأقام تسع عشرة سنة ومات فأقيم يوسانيوس في أول خلافة المعتز فأقام إحدى عشرة سنة ومات وعمل في بطركيته مجاري تحت الأرض بالإسكندرية يجري بها الماء من الخليج إلى البيوت.

وفي أيامه قدم أحمد بن طولون مصر أميراً عليها ثم قدّم اليعاقبة ميخائيل فأقام خمسا وعشرين سنة ومات بعدما ألزمه أحمد بن طولون.

بحمل عشرين ألف دينار باع فيها رباع الكنائس الموقوفة عليها وأرض الحبش ظاهر فسطاط مصر وباع الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود وقرّر الديارية على كل نصراني قيراطاً في السنة فقام بنصف المقرّر عليه.

وفي أيامه قتل الأمير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فلما مات شجر كرسى الإسكندرية بعده من البطارقة أربع عشرة سنة وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلاثمائة أحرقت الكنيسة الكبرى المعروفة بالقيامة في الإسكندرية وهي التي كانت هيكل زحل وكانت من بناء كلابطرة.

### ▲ وفي سنة إحدى وثلاثمائة قدم اليعاقبة غبريال بطرگا

فأقام إحدى عشرة سنة ومات وأخذت في أيامه الديارية على الرجال والنساء وقدّم بعده اليعاقبة في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة قسيماً فأقام اثنتي عشرة سنة ومات.

وفي يوم السبت النصف من شهر رجب سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة أحرقت المسلمون كنيسة مريم بدمشق ونهبوا ما فيها من الآلات والأواني وقيمتها كثيرة جداً ونهبوا ديراً للنساء بجوارها وشعثوا كنائس النسطورية واليعقوبية.

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة قدم الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى مصر فكشف البلد وألزم الأساقفة والرهبان وضعفاء النصارى بأداء الجزية فأدواها ومضى طائفة منهم إلى بغداد واستغاثوا بالمقتدر بالله فكتب إلى مصر بأن لا يؤخذ من الأساقفة والرهبان والضعفاء جزية وأن يجروا على العهد الذي بأيديهم.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قدّم اليعاقبة بطرکا اسمه.

فأقام عشرين سنة ومات وفي أيامه ثار المسلمون بالقدس سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وحرّقوا كنيسة القيامة ونهبوها وخرّبوا منها ما قدروا عليه.

وفي يوم الاثنين آخر شهر رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة مات سعيد بن بطريق بطرك الإسكندرية على الملكية بعدما أقام في البطركية سبع سنين ونصفاً في شرور متصلة مع طائفته فبعث الأمير أبو بكر محمد بن طفح الإخشيد أبا الحسين من قواده في طائفة من الجند إلى مدينة تنيس حتى ختم على كنائس الملكية وأحضر آلتها إلى الفسطاط وكانت كثيرة جداً فاقتكها الأسقف بخمسة آلاف دينار باعوا فيها من وقف الكنائس ثم صالح طائفته وكان فاضلاً وله تاريخ مفيد وثار المسلمون أيضاً بمدينة عسقلان وهدموا كنيسة مريم الخضراء ونهبوا ما فيها وأعانهم اليهود حتى

أحرقوها ففرّ أسقف عسقلان إلى الرملة وأقام بها حتى مات وقدم اليعاقبة في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة توفانيوس بطرغا فأقام أربع سنين وستة أشهر ومات فأقيم بعده مينا فأقام إحدى عشرة سنة ومات فخلا الكرسي بعده سنة ثم قدم اليعاقبة افرام بن زرعة في سنة ست وستين وثلاثمائة فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسموماً من بعض كتاب النصارى وسببه أنه منعه من التسري فخلا الكرسي بعده سنة أشهر وأقيم فيلايوس في سنة تسع وستين فأقام أربعاً وعشرين سنة ومات وكان مترقاً.

وفي أيامه أخذت الملكية كنيسة السيدة المعروفة بكنيسة البطرک تسلمها منهم بطرک الملكية أرسانيوس في أيام العزيز بالله نزار بن المعز وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة قدم اليعاقبة زخريس بطرغا فأقام ثماني وعشرين سنة منها في البلايا مع الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله تسع سنين اعتقله فيها ثلاثة أشهر وأمر به فألقي للسباع هو وسوسنة النوبي فلم تضره فيما زعم النصارى.

ولما مات خلا الكرسي بعده أربعة وسبعين يوماً وفي بطركيته نزل بالنصارى شذائد لم يعهدوا مثلها وذلك أن كثيراً منهم كان قد تمكن في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء وتعاضموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم فاشتد بأسهم وتزايد ضررهم ومكائدهم للمسلمين فأغضب الحاكم بأمر الله ذلك وكان لا يملك نفسه إذا غضب فقبض على عيسى بن نسطورس النصراني وهو إذ ذاك في رتبة تضاهي رتب الوزراء وضرب عنقه ثم قبض على فهد بن إبراهيم النصراني كاتب الأستاذ برجوان وضرب عنقه وتشدد على النصارى وألزمهم بلبس ثياب الغيار وشد الزنار في أوساطهم ومنعهم من عمل الشعانيين وعيد الصليب والتظاهر بما كانت عاداتهم فعله في أعيادهم من الاجتماع واللهو وقبض على جميع ما هو محبس على الكنائس والديارات وأدخله في الديوان وكتب إلى أعماله كلها بذلك وأحرق عدة صلبان كثيرة ومنع النصارى من شراء العبيد والإماء وهدم الكنائس التي بخط راشدة ظاهر مدينة مصر وأخرب كنائس المقس خارج القاهرة وأباح ما فيها للناس فانتهبوا منها ما يجلب وصفه وهدم دير القصير وانهب العامة ما فيه ومنع النصارى من عمل الغطاس على شاطئ النيل بمصر وأبطل ما كان يعمل فيه من الاجتماع للهو وألزم رجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي زنة كل صليب منها خمسة أرتال في أعناقهم ومنعهم من ركوب الخيل وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير بسروج ولجم غير محلاة بالذهب والفضة بل تكون من جلود سود وضرب بالحرس في القاهرة ومصر أن لا يركب أحد من المكارية ذميّاً ولا يحمل نوتيّ مسلم أحدًا من أهل الذمة وأن تكون ثياب النصارى وعمائمهم شديدة السواد وركب سروجهم من خشب الجميز وأن يُعلق اليهود في أعناقهم خشباً مدوراً زنة الخشبية منها خمسة أرتال وهي ظاهرة فوق ثيابهم وأخذ في هدم الكنائس كلها وأباح ما فيها وما هو محبس عليها للناس نهباً وإقطاعاً فهُدمت بأسرها ونهب جميع أمتعتها وأقطع أحباسها وبني في مواضعها المساجد وأذن بالصلاة في كنيسة شنودة بمصر وأحيط بكنيسة المعلقة في قصر الشمع وكثر الناس من رفع القصص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها فلم يرد قصة منها إلا وقد وقع عليها بإجابة رافعها لما سأل فأخذوا أمتعة الكنائس والديارات وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك وتصرفوا في أحباسها ووجد بكنيسة شنودة مال جليل ووجد في المعلقة من المصاغ وثياب الديباج أمر كثير جداً إلى الغاية وكتب إلى ولاة الأعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعمّ الهدم فيها من سنة ثلاث وأربعمائة حتى ذكر من يوثق به في ذلك أن الذي هدم إلى آخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالهما من الهياكل التي بناها الروم نيف وثلاثون ألف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على أوقافها وكانت أوقافاً جلييلة على مبان عجيبة وألزم النصارى أن تكون الصلبان في أعناقهم إذا دخلوا الحمام وألزم اليهود النصارى بخروجهم كلهم من أرض مصر إلى بلاد الروم فاجتمعوا بأسرهم

تحت القصر من القاهرة واستغاثوا ولاذوا بعفو أمير المؤمنين حتى أعفوا من النفي وفي هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى.

وفي سنة سبع وأربعمائة وثب بعض أكابر البلغر على ملكهم قمطورس فقتله وملك عوضه وكتب إلى باسيل ملك قسطنطينية بطاعته فأقره ثم قُتل بعد سنة فسار الملك باسيل إليهم في شوال سنة ثمان وأربعمائة واستولى على مملكة البلغر وأقام في قلاعها عدة من الروم وعاد إلى قسطنطينية فاختلط الروم بالبلغر ونكحوا منهم وصاروا يداً واحدة بعد شدة العداوة وقدم اليعاقبة عليهم سابونين بطرغا بالإسكندرية في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة في يوم الأحد ثالث عشرين برمهات فأقام خمس عشرة سنة ونصفاً ومات في طوبه وكان محباً للمال وأخذ الشرطونية فخلاً الكرسي بعده سنة وخمسة أشهر ثم قدم اليعاقبة أخر سطوديس بطرغا في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر وهو الذي جعل كنيسة بومرقوره بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة في أيام بطركيته فلم يبق بعده بطرك اثنتين وسبعين يوماً ثم أقام اليعاقبة كيرلص فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفاً ومات بكنيسة المختار من جزيرة مصر المعروفة بالروضة في سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل بدلة للبطاركة من ديباج أزرق وبلارية ديباج أحمر بتساوير ذهب وقطع الشرطونية فلم يول بعده بطرك مدة مائة وأربعة وعشرين يوماً ثم أقيم ميخائيل الحبس بسنجان في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ومات في المعلقة بمصر وكان المستنصر بالله لما نقص نيل مصر بعثه إلى بلاد الحبشة بهدية سنوية فتلقاه ملكها وسأله عن سبب قدومه فعرفه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك فأمر بفتح سدّ يجري منه الماء إلى أرض مصر ففتح وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أذرع واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن إليه.

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قدم اليعاقبة مقاري بطرغا بدير بومقار وكمل بالإسكندرية وعاد إلى مصر ثم مضى إلى دير بومقار فقدس به ثم جاء إلى مصر فقدس بالمعلقة فأقام سنًا وعشرين سنة وأحدًا وأربعين يوماً ومات.

فخلت مصر من بطرك اليعاقبة سنتين وشهرين وفي أيامه حدثت زلزلة عظيمة بمصر هدم فيها كنيسة المختار بالروضة واتهم الأفضل بن أمير الجيوش بهدمها فإنها كانت في بستانه.

وفي أيامه أبطل عوايد كثيرة للنصارى فبطلت بعده.

ثم قدم اليعاقبة غبريال المكنى بأبي العلا صاعد بن تريك الشماس بكنيسة مرقوريوس في سنة خمس وعشرين وخمسائة بالمعلقة وكمل بالإسكندرية وقدس بالأديرة بوادي هبيب وأقام أربع عشرة سنة ومات فخلاً بعده كرسي اليعاقبة ثلاثة أشهر.

ثم قدم اليعاقبة ميخائيل بن التقدوسي الراهب بقلية دمشري بطرغا فأقام مدة سنة وسبعين يوماً ثم أقيم يونس أبو الفتح بطرغا بالمعلقة وكمل بالإسكندرية فأقام تسع عشرة سنة ومات في سابع عشرين جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وخمسائة فخلاً الكرسي بعده ثلاثة وأربعين يوماً وقدم مرقص بن زرعة المكنى بأبي الفرج بطرك اليعاقبة بمصر وكمل بالإسكندرية فأقام اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ومات وفي أيامه انتقل مرقص بن قنبر وجماعة من القنابرة إلى رأي الملكية ثم عاد إلى اليعقوبية فقبل.

ثم عاد إلى الملكية ورجع فلم يُقبل وكان هذا البطرك له همة ومروءة وفي أيامه كان حريق شاور



الوزير لمصر في ثامن عشر هاتور فاحترقت كنيسة بومرقورة وخلا بعده كرسيّ البطاركة سبعة وعشرين يوماً ثم قدم اليعاقبة يونس بن أبي غالب بطرغا في يوم الأحد عاشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وخمسمائة وكمل بالإسكندرية فأقام سنًا وعشرين سنةً وأحد عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا ومات يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وستمائة بالمعلقة بمصر ودفن بالحيش وكان في ابتداء أمره تاجرًا يتردد إلى اليمن في البحر حتى كثر ماله وكان معه مال لأولاد الخباب فاتفق أنه غرق في بحر الملح وذهب ماله ونجا بنفسه إلى القاهرة وقد آيس أولاد الخباب من مالهم فلما لقيهم أعلمهم أن مالهم قد سلم فإنه كان قد عمله في نفائر خشب مسمرة في المركب فصار لهم به عناية فلما مات مرقص بن زرعة سعى يونس هذا للقس أبي ياسر فقال له أولاد الخباب: خذ أنت البطركية ونحن نريك فوافقهم وأقيم بطرغا فشق ذلك على أبي ياسر وهجره بعد صحبة طويلة وكان معه لما استقرّ في البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية أنفقها على الفقراء وأبطل الديارية ومنع الشرطونية ولم يكل لأحد من النصارى خبزًا ولا قبل من أحد هدية.

فلما مات قام أبو الفتوح نشو الخليفة بن الميقات كاتب الجيش مع السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب في ولاية القس داود بن يوحنا بن لقلق الفيوميّ فإنه كان خصيصًا به فأجابه وكتب توقيعه من غير أن يعلم الملك الكامل محمد ابن السلطان فشق ذلك على النصارى وقام منهم الأسعد بن صدقة كاتب دار التفاح بمصر ومعه جماعة وتوجهوا سحرًا ومعهم الشموع إلى تحت قلعة الجبل حيث كان سكن الملك الكامل واستغاثوا به ووقعوا في القس وقالوا لا يصلح وفي شريعتنا أنه لا يقدم البطرك إلا باتفاق الجمهور عليه فبعث الملك الكامل يطيب خواطرهم وكان القس قد ركب بكرة ومعه الأساقفة وعالم كثير من النصارى لينقذوه بالمعلقة بمصر وذلك يوم الأحد فركب الملك الكامل بشجو كبير من القلعة إلى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيث سكنه وأوقف ولاية القس فبعث المسلمان في طلب الأساقفة ليتحقق الأمر منهم فوافقهم الرسل مع القس في الطريق فأخذوهم ودخل القس إلى كنيسة بوجرج التي بالحمراء وبطلت بطركيته وأفاقت مصر بغير بطرك تسع عشرة سنة ومائة وستين يومًا.

ثم قدم هذا القس بطرغا في يوم الأحد تاسع عشرين شهر رمضان سنة ثلاث وثلثين وستمائة فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين وستمائة ودفن بدير الشمع بالجيزة وكان عالمًا بدينه محبًا للرياسة وأخذ الشرطونية في بطركيته وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الأساقفة فقدم جماعة أساقفة كثيرة بمال كثير أخذه منهم وقاسى شدائد ورافعه الراهب عماد المرشال ووكل عليه وعلى أقاربه وألزاه وساعده الراهب السني بن الثعبان وأشاع مثاليه وقال لا يصح له كونية لأنه يقدم بالرشوة وأخذ الشرطونية وجمع عليه طائفة كثيرة وعقد مجلسًا عند الصاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأثبت على البطرك قوادح فقام الكتاب النصارى في أمره مع الصاحب بمال يحمله إلى السلطان حتى استمر على بطركيته وخلا كرسيّ البطاركة بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يومًا.

ثم قدم اليعاقبة ابناسيوس ابن القس أبي المكارم بن كليل بالمعلقة في يوم الأحد رابع شهر رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكمل بالإسكندرية فأقام إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يومًا ومات يوم الأحد ثالث المحرم سنة ستين وستمائة فخلت مصر من البطركية خمسة وثمانين يومًا.

وفي أيامه أخذ الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي الجوالي من النصارى مضاعفة وفي أيامه ثارت عوامّ دمشق وخربت كنيسة مريم بدمشق بعد إحراقها ونهب ما فيها وقتل جماعة من النصارى بدمشق ونهب دورهم وخرابها في سنة ثمان وخمسين وستمائة بعد وقعة عين

جالوت وهزيمة المغل.

فلما دخل السلطان الملك المظفر قطز إلى دمشق قرّر على النصارى بها مائة ألف وخمسين ألف درهم جمعوها من بينهم وحملوها إليه بسفارة الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب أتاك العسكر.

وفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة كانت واقعة النصارى ومن خبرها أن الأمير سنجر الشجاعيّ كانت حرمة وافرّة في أيام الملك المنصور قلاوون فكان النصارى يركبون الحمير بزنانير في أوساطهم ولا يجسر نصرانيّ يحدث مسلماً وهو راكب وإذا مشى فبذلة ولا يقدر أحد منهم يلبس ثوباً مصقولاً فلما مات الملك المنصور وتسلطن من بعده ابنه الملك الأشردّ خليل خدم الكتاب النصارى عند الأمراء الخاصكية وقووا نفوسهم على المسلمين وترفعوا في ملابسهم وهياتهم وكان منهم كاتب عند خاصكيّ يُعرف بعين الغزال فصدف يوماً في طريق مصر سمسار شونة مخدمه فنزل السمسار عن دابته وقبّل رجل الكاتب فأخذ يسبه ويهدّده على مال قد تأخر عليه من ثمن غلة الأمير وهو يترفق له ويعتذر فلا يزيد ذلك عليه إلا غلظة وأمر غلامه فنزل وكتف السمسار ومضى به والناس تجتمع عليه حتى صار إلى صليبة جامع أحمد بن طولون ومعه عالم كبير وما منهم إلا من يسأله أن يخلي عن السمسار وهو يمتنع عليهم فتكاثروا عليه وألقوه عن حماره وأطلقوا السمسار وكان قد قرب من بيت أستاذه فبعث غلامه لينجده بمن فيه فأثاه بطائفة من غلمان الأمير وأوجاقيته فخلصوه من الناس وشرعوا في القبض عليهم ليفتكوا بهم فصاحوا عليهم ما يحل ومرّوا مسرعين إلى أن وقفوا تحت القلعة واستعاثوا نصر الله السلطان فأرسل يكشف الخبر فعرفوه ما كان من استطالة الكاتب النصرانيّ على السمسار وما جرى لهم فطلب عين الغزال ورسم للعمامة بإحضار النصارى إليه وطلب الأمير بدر الدين بيدرا النائب والأمير سنجر الشجاعيّ وتقدّم إليهما بإحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم فما زال به حتى استقرّ الحال على أن ينادي في القاهرة ومصر أن لا يخدم أحد من النصارى واليهود عند أمير وأمر الأمراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الإسلام فمن امتنع من الإسلام ضربت عنقه ومن أسلم استخدموه عندهم ورسم للنائب بعرض جميع مباشري ديوان السلطان ويفعل فيهم ذلك فنزل الطلب لهم وقد اختفوا فصارت العامة تسبق إلى بيوتهم وتنهبها حتى عمّ النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم وأخرجوا نساءهم مسبيات وقتلوا جماعة بأيديهم فقام الأمير بيدرا النائب مع السلطان في أمر العامة وتلطف به حتى ركب وإلى القاهرة ونادى من نهب بيت نصرانيّ شئق وقبض على طائفة من العامة وشهرهم بعدما ضربهم فانكفوا عن النهب بعدما نهبوا كنيسة المعلقة بمصر وقتلوا منها جماعة ثم جمع النائب كثيراً من النصارى كتاب السلطان والأمراء وأوقفهم بين يدي السلطان عن بعد منه فرسم للشجاعيّ وأمير جاندار أن يأخذا عدة معهما وينزلوا إلى سوق الخيل تحت القلعة ويحفرّوا حفيرة كبيرة ويلقوا فيها الكتاب الحاضرين ويضرموا عليهم الحطب ناراً فتقدّم الأمير بيدرا وشفع فيهم فأبى أن يقبل شفاعته وقال: ما أريد في دولتي ديواناً نصرانياً فلم يزل به حتى سمح بأن من أسلم منهم يستقر في خدمته ومن امتنع ضربت عنقه فأخرجهم إلى دار النيابة وقال لهم: يا جماعة ما وصلت قدرتي مع السلطان في أمركم إلا على شرط وهو أن من اختار دينه قُتل ومن اختار الإسلام خلع عليه وباشر فابتدره المكين بن السفاعيّ أحد المستوفين وقال: يا خوند وأينا قواد يختار القتل على هذا الدين الخراء والله دين نقتل ونموت عليه يروح لا كتب الله عليه سلامة قولوا لنا الذي تختاروه حتى نروح إليه فغلب بيدرا الضحك وقال له: ويالك نحن نختار غير دين الإسلام فقال يا خوند: ما نعرف قولوا ونحن نتبعكم فأحضر العدول واستسلمهم وكتب بذلك شهادات عليهم ودخل بها على السلطان فألبسهم تشاريف وخرجوا إلى مجلس الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلغوس فبدأ بعض الحاضرين بالمكين بن السقاير وناوله ورقة ليكتب عليها وقال: يا مولانا القاضي اكتب على هذه الورقة.

فقال: يا بني ما كان لنا هذا القضاء في خلد فلم يزلوا في مجلس الوزير إلى العصر فجاءهم الحاجب وأخذهم إلى مجلس النائب وقد جمع به القضاة فجددوا إسلامهم بحضرتهم فصار الدليل منهم بإظهار الإسلام عزيزاً بيدي من إذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم ما كان يمنع نصرانيته من إظهاره وما هو إلا كما كتب به بعضهم إلى الأمير بيدرا النائب: أسلم الكافرون بالسيف قهراً وإذا ما خلوا فمهم مجرمونا سلموا من رواج مال وروح فهم سالمون لا مسلمونا وفي أخريات شهر رجب سنة سبعمائة قدم وزير متملك المغرب إلى القاهرة حاجاً وصار يركب إلى الموكب السلطاني وبيوت الأمراء فبينما هو ذات يوم يسوق الخيل تحت القلعة إذا هو برجل راكب على فرس وعليه عمامة بيضاء وفرجية مصقولة وجماعة يمشون في ركابه وهم يسألونه ويتضرعون إليه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم وينهرهم ويصيح بغلمانه أن يطردوهم عنه.

فقال له بعضهم يا مولاي الشيخ بحياة ولدك النشو تنظر في حالنا فلم يزد ذلك إلا عتواً وتحامقاً فرق المغربي لهم وهم بمخاطبته في أمرهم فقيل له وأنه مع ذلك نصراني فغضب لذلك وكاد أن يبطش به ثم كف عنه وطلع إلى القلعة وجلس مع الأمير سلاّر نائب السلطان والأمير بيبرس الجاشنكير وأخذ يحدثهم بما رآه وهو يبكي رحمة للمسلمين بما نالهم من قسوة النصارى ثم وعظ الأمراء وحذرهم نقمة الله وتسليط عدوهم عليهم من تمكين النصارى من ركوب الخيل وتسلطهم على المسلمين وإذلالهم إياهم وأن الواجب إلزامهم الصغار وحملهم على العهد الذي كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمالوا إلى قوله وطلبوا بطرك النصارى وكبراءهم وديان اليهود فجمعت نصارى كنيسة المعلقة ونصارى دير البعل ونحوهم وحضر كبراء اليهود والنصارى وقد حضر القضاة الأربعة وناظروا النصارى واليهود فأذعنوا إلى التزام العهد العمري وألزم بطرك النصارى طائفته النصارى بلبس العمام الزرق وشد الزنار في أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبالغ والتزام الصغار وحرّم عليهم مخالفة ذلك أو شيء منه وأنه بريء من النصرانية إن خالف.

ثم اتبعه ديان اليهود بأن أوقع الكلمة على من خالف من اليهود ما شرط عليه من لبس العمام الصفرة والتزام العهد العمري وكتب بذلك عدّة نسخ سيرت إلى الأعمال فقام المغربي في هدم الكنائس فلم يمكنه قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد من ذلك وكتب خطه بأنه لا يجوز أن يهدم من الكنائس إلا ما استجد بناؤه فغلقت عدّة كنائس بالقاهرة ومصر مدّة أيام فسعى بعض أعيان النصارى في فتح كنيسة حتى فتحها فثارت العامة ووقفوا للنائب والأمراء واستغاثوا بأن النصارى قد فتحوا الكنائس بغير إذن وفيهم جماعة تكبروا عن لبس العمام الزرق واحتمى كثير منهم بالأمراء فنودي في القاهرة ومصر أن يلبس النصارى بأجمعهم العمام الزرق ويلبس اليهود بأسرهم العمام الصفرة ومن لم يفعل ذلك نُهب ماله وحلّ دمه ومنعوا جميعاً من الخدمة في ديوان السلطان ودواوين الأمراء حتى يُسلموا فتسلطت الغوغاء عليهم وتتبعوهم لمن رأوه بغير الزي الذي رسم به ضربوه بالنعال وشفعوا عنقه حتى يكاد يهلك ومن مرّ بهم وقد ركب ولا يثني رجله ألقوه عن دابته وأوجعوه ضرباً فاخترقي كثير منهم وألجأت الضرورة عدة من أعيانهم إلى إظهار الإسلام أنفة من لبس الأزرق وركوب الحمير وقد أكثر شعراء العصر في ذكر تغيير زيّ أهل الذمة فقال علاء الدين علي بن مظفر الوداعي: لقد ألزم الكفار شاشات ذلة تزيدهم من لعنة الله تشويشا فقلت لهم ما ألبسوكم عماماً ولكنهم قد ألزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبي: تعجبوا للنصارى واليهود معاً والسامريين لما عمموا الخرقا كأنما بات بالأصباغ منسها نسراً السماء فأضحى فوقهم زرقاً فبعث ملك برشلونة في سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلية زائدة عن عادته عمّ بها جميع أرباب الوظائف من الأمراء مع ما خص به السلطان وكتب يسأل في فتح الكنائس فاتفق الرأي على فتح كنيسة حارة زويلة لليعاقبة وفتح كنيسة البندقيين من

القاهرة ثم لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة هدمت كنائس أرض مصر في ساعة واحدة كما ذكر في أخبار كنيسة الزهريّ وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة رسم بتحرير ما هو موقوف على الكنائس من أراضي مصر فأناف على خمسة وعشرين ألف فدان وسبب الفحص عن ذلك كثرة تعاضم النصارى وتعديهم في الشرّ والإضرار بالمسلمين لتمكنهم من أمراء الدولة وتفاخرهم بالملابس الجليلة والمغالاة في أثمانها والتبسط في المآكل والمشرب وخروجهم عن الحدّ في الجراءة والسلطة إلى أن اتفق مرور بعض كتاب النصارى على الجامع الأزهر من القاهرة وهو راكب بخف ومهماز وبقباء إسكندريّ طرح على رأسه وقدامه طرادون يمنعون الناس من مزاحمته وخلفه عدّة عبيد بثياب سرية على أكاديش فارهة فشق ذلك على جماعة من المسلمين وثاروا به وأنزلوا عن فرسه وقصدوا قتله وقد اجتمع عالم كبير ثم خلوا عنه وتحذت جماعة مع الأمير طاز في أمر النصارى وما هم عليه فوعدهم بالإصاف منهم فرفعوا قصة على لسان المسلمين فُرئت على السلطان الملك الصالح صالح بحضرة الأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة تتضمن الشكوى من النصارى وأن يعقد لهم مجلس ليلتزموا بما عليهم من الشروط فرسم بطلب بطرك النصارى وأعيان أهل ملتهم وبطلب رئيس اليهود وأعيانهم وحضر القضاة والأمراء بين يدي السلطان وقرأ القاضي علاء الدين عليّ بن فضل الله السرّ العهد الذي كتب بين المسلمين وبين أهل الذمة وقد أحضروه معهم حتى فرغ منه فالتزم من حضر منهم بما فيه وأقرّوا به فعُدّت لهم أفعالهم التي جأهروا بها وهم عليها وأنهم لا يرجعون عنها غير قليل ثم يعودون إليها كما فعلوه غير مرّة فيما سلف فاستقرّ الحال على أن يمنعوا من المباشرة بشيء من ديوان السلطان ودواوين الأمراء ولو أظهروا الإسلام وأن لا يُكره أحد منهم على إظهار الإسلام ويُكتب بذلك إلى الأعمال.

فتسلطت العامّة عليهم وتتبعوا آثارهم وأخذوهم في الطرقات وقطعوا ما عليهم من الثياب وأوجعوهم ضرباً ولم يتركوهم حتى يُسلموا وصاروا يضرمون لهم النار ليلقوهم فيها فاخفقوا في بيوتهم ولم يتجاسروا على المشي بين الناس فنودي بالمنع من التعرض لأذاهم فأخذت العامّة في تتبع عوراتهم وما علوه من دورهم على بناء المسلمين فهدموه واشتدّ الأمر على النصارى باختفائهم حتى أنهم فقدوا من الطرقات مدّة فلم ير منهم ولا من اليهود أحد فرفع المسلمون قصة قرئت في دار العدل في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب تتضمن أن النصارى قد استجدّوا عمارات في كنائسهم ووسعوها هذا وقد اجتمع بالقلعة عالم عظيم واستغاثوا بالسلطان من النصارى فرسم بركوب والي القاهرة وكشفه على ذلك فلم تتمهل العامّة ومرّت بسرعة فخرّبت كنيسة بجوار قناطر السباع وكنيسة بطريق مصر للأسرى وكنيسة الفهادين بالجوانية من القاهرة ودير نهيا من الجيزة وكنيسة بناحية بولاق التكروري ونهبوا حواصل ما خرّبوه من ذلك وكانت كثيرة وأخذوا أخشابها ورخامها وهجموا كنائس مصر والقاهرة ولم يبق إلا أن يخرّبوا كنيسة البندقانيين بالقاهرة فركب الوالي ومنعهم منها واشتدّت العامة وعجز الحكام عن كفهم وكان قد كُتب إلى جميع أعمال مصر وبلاد الشام أن لا يُستخدم يهودي ولا نصراني ولو أسلم وأنه من أسلم منهم لا يمكن من العبور إلى بيته ولا من معايشة أهله إلا أن يُسلموا وأن يُلزم من أسلم منهم بملازمة المساجد والجوامع لشهود الصلوات الخمس والجمع وأنّ من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته إن كان له وارث وإلا فهي لبيت المال وكان يلي ذلك البطررك وكتب بذلك مرسوم قرئ على الأمراء ثم نزل به الحاجب فقراه في يوم الجمعة سادس عشري جمادى الآخرة بجوامع القاهرة ومصر فكان يوماً مشهوداً.

ثم أحضر في أخريات شهر رجب من كنيسة شبرا بعدما هدمت إصبع الشهيد الذي كان يُلقى في النيل حتى يزيد بزعمهم وهو في صندوق فأحرق بين يدي السلطان بالميدان من قلعة الجبل وذرى رماده في البحر خشية من أخذ النصارى له فقدمت الأخبار بكثرة دخول النصارى من أهل الصعيد

والوجه البحريّ في الإسلام.

وتعلمهم القرآن وإن أكثر كنائس الصعید هُدمت وبُنيت مساجد وأنه أسلم بمدينة قلوب في يوم واحد أربعمئة وخمسون نصرانيًا وكذلك بعامة الأرياف مكرًا منهم وخديعة حتى يُستخدموا في المباشرات وينكحوا المسلمات فتم لهم مرادهم واختلطت بذلك الأنساب حتى صار أكثر الناس من أولادهم ولا يُخفي أمرهم على من نور الله قلبه فإنه يُظهر من آثارهم القبيحة إذا تمكنوا من الإسلام وأهل ما يُعرف به الفطن سوء أصلهم وقديم معاداة أسلافهم للدين وحملته.

النصارى فرق كثيرة الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبرذعانية والمرقولية وهم الرهاويون الذين كانوا بنواحي حران وغير هؤلاء.

فمنهم من مذهبه مذهب الحرّانية ومنهم من يقول بالنور والظلمة والثبوية كلهم يقرّون بنبوّة المسيح عليه السلام ومنهم من يعتقد مذهب أرسطاطاليس.

والملكانية واليعقوبية والنسطورية متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم وهذه الأقانيم الثلاثة شيء واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس إله واحد وأن الابن نزل من السماء فتدرّج جسدًا من مريم وظهر للناس يحيي ويبرئ ويُنبي ثم قُتل وصلب وخرّج من القبر لثلاث فظهر لقوم من أصحابه فعرفوه حق معرفته ثم صعد إلى السماء فجلس عن يمين أبيه هذا الذي يجمعهم اعتقاده ثم إنهم يختلفون في العبارة عنه.

فمنهم من يزعم أنّ القديم جوهر واحد يجمعه ثلاثة أقانيم كل أقنوم منها جوهر خاص فأحد هذه الأقانيم أب واحد غير مولود والثالث روح فائضة منبثقة بين الأب والابن وأن الابن لم يزل مولودًا من الأب وأن الأب لم يزل والذا للابن لا على جهة النكاح والتناسل لكن على جهة تولد ضياء الشمس من ذات الشمس وتولد حرّ النار من ذات النار.

ومنهم من يزعم أن معنى قولهم إن الإله ثلاثة أقانيم أنها ذات لها حياة ونطق فالحياة هي روح القدس والنطق هو العلم والحكمة.

والنطق والعلم والحكمة والكلمة عبارة عن الابن كما يُقال الشمس وضياؤها والنار وحرّها فهو عبارة عن ثلاثة أشياء ترجع إلى أصل واحد.

ومنهم من يزعم أنه لا يصحّ له أن يثبت الإله فاعلمًا حكيمًا إلا أنه يثبت حيًا ناطقًا ومعنى الناطق عندهم العالم المميز لا الذي يخرج الصوت بالحروف المركبة ومعنى الحيّ عندهم من له حياة بها يكون حيًا ومعنى العالم من له علم به يكون عالمًا.

قالوا فذاته وعلمه وحياته ثلاثة أشياء والأصل واحد فالذات هي العلة للذاتين اللذين هما العلم والحياة والإثنان هما المعلولان للعلة ومنهم من ينتزه عن لفظ العلة والمعلول في صفة القديم ويقول أب وابن ووالدة وروح وحياة وعلم وحكمة ونطق.

قالوا والابن اتحد بإنسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحًا واحدًا وأن المسيح هو إله العباد وربهم ثم اختلفوا في صفة الاتحاد فزعم بعضهم أنه وقع بيمن جوهر لاهوتيّ وجوهر ناسوتيّ اتحاد

فصارا مسيحًا واحدًا ولم يُخرج الاتحاد كل واحد منهما عن جوهريته وعنصره وأن المسيح إله معبود وأنه ابن مريم الذي حملته وولده وأنه قُتل وصلب وزعم قوم أن المسيح بعد الاتحاد جوهران أحدهما لاهوتي والآخر ناسوتي وأن القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وأن مريم حملت بالمسيح وولده من جهة ناسوته وهذا قول النسطورية ثم يقولون أن المسيح بكماله إله معبود وأنه ابن الله تعالى الله عن قولهم وزعم قوم أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتي وناسوتي فالجوهر اللاهوتي بسيط كبير منقسم ولا متجزئ وزعم قوم أن الاتحاد على جهة حلول الابن في الجسد ومخالطته إياه ومنهم من زعم أن الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم والنقش إذا وقع على طين أو شمع وكظهور صورة الإنسان في المرأة إلى غير ذلك من الاختلاف الذي لا يوجد مثله في غيرهم حتى لا تكاد تجد اثنين منهم على قول واحد.

والملكانية تنسب إلى ملك الروم وهم يقولون أن الله اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد.

وَالْيَعْقُوبِيَّةُ تَقُولُ أَنَّهُ وَاحِدٌ قَدِيمٌ وَأَنَّهُ كَانَ لَا جِسْمَ وَلَا إِنْسَانَ ثُمَّ تَجَسَّمَ وَتَأَنَسَّ.

والمرقولية قالوا الله واحد وعلمه غيره قديم معه والمسيح ابنه على جهة الرحمة كما يقال إبراهيم خليل الله والمرقولية تزعم أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة والبوز غانية تزعم أن وعندهم لا بد من تنصير أولادهم وذلك أنهم يغمسون المولود في ماء قد أغلي بالرياحين وألوان الطيب في إجانة جديدة ويقرؤون عليه من كتابهم فيزعمون أنه حينئذ ينزل عليه روح القدس ويسمون هذا الفعل المعمودية وطهارتهم إنما هي غسل الوجه واليدين فقط ولا يُختتن منهم إلا اليعقوبية ولهم سبع صلوات يستقبلون فيها المشرق ويحجون إلى بيت المقدس وزكاتهم العشر من أموالهم وصيامهم خمسون يومًا فالثاني والأربعون منه عيد الشعانيين وهو اليوم الذي نزل فيه المسيح من الجبل ودخل بيت المقدس وبعده بأربعة أيام عيد الفصح وهو اليوم الذي خرج فيه موسى وقومه من مصر وبعده بثلاثة أيام عيد القيامة وهو اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر بزعمهم وبعده بثمانية أيام عيد الجديده وهو اليوم الذي ظهر فيه المسيح لتلامذته بعد خروجه من القبر وبعده بثمانية وثلاثين يومًا عيد السلاق وهو اليوم الذي صعد فيه المسيح إلى السماء.

ولهم عيد الصليب وهو اليوم الذي وجدوا فيه خشبة الصليب وزعموا أنها وضعت على ميت فعاش ولهم أيضًا عيد الميلاد وعيد الذبح ولهم قرايين وكهنة فالشماس فوقه القس وفوق القس الأسقف وفوق الأسقف المطران وفوق المطران البطريرك والسكّر عندهم حرام ولا يحل لهم أكل اللحم ولا الجماع في الصوم وكل ما يُباع في السوق ولم تعفه أنفسهم بياحُ أكله ولا يصحُ النكاح إلا بحضور شماس وقس وعدول ومهر ويحرمون من النساء ما يحرمه المسلمون ولا يحلُ الجمع بين امرأتين ولا التسرّي بالإماء إلا أن يُعتقن ويُتزوج بهنّ وإذا خدم العبد سبع سنين عُتِقَ ولا يحلُ طلاق المرأة إلا أن تأتي بفاحشة مبينة فتطلق ولا تحل للزوج أبدًا وحدّ المحصن إذا زنى الرجم فإن زنى غير محصن وحملت منه المرأة تزوّج بها ومن قُتل عمدًا قُتل ومن قُتل خطأ يُهْرَبُ ولا يحل طلبه وأكثر أحكامهم من التوراة وقد لعنَ منهم من لاط أو شهد بالزور أو قامر أو زنى أو سكر.

## المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار

### الجزء الرابع

( 166 ) من 167 )

التالي

الفهرس

السابق

### ▲ ديارات النصارى

قال ابن سيده: الدير خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار وديراني.

قلتُ الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة.

القلاية بمصر: هذه القلاية بجانب المعلقة التي تُعرف بقصر الشمع في مدينة مصر وهي مجمع أكابر الرهبان وعلماء النصارى وحكمها عندهم حكم الأديرة.

دير طرا: ويُعرف بدير أبي جرج وهو على شاطئ النيل.

وأبو جرج هذا هو جرجس وكان ممن عذبه الملك دقلطيانوس ليرجع عن دين النصرانية ونوع له العقوبات من الضرب والتحريق بالنار فلم يرجع فصرع عنقه بالسيف في ثالث تشرين وسابع بابه.

دير شعران: هذا الدير في حدود ناحية طرا وهو مبني بالحجر واللبن وبه نخل وبه عدّة رهبان ويُقال إنما هو دير شهران بالهاء وأنّ شهران كان من حكماء النصارى وقيل بل كان ملكًا وكان هذا الدير يُعرف قديمًا بمرقوريوس الذي يقال له مرقورة وأبو مرقورة ثم لما سكنه برصوما بن التبان عُرف بدير برصوما وله عيد يُعمل في الجمعة الخامسة من الصوم الكبير فيحضره البطرك وأكابر النصارى وينفقون فيه مالًا كبيرًا.

ومرقوريوس هذا كان ممن قتله دير الرسل: هذا الدير خارج ناحية الصف والودي وهو دير قديم لطيف.

دير بطرس وبولص: هذا الدير خارج اطفح من قبليها وهو دير لطيف وله عيد في خامس أبيب يُعرف بعيد القصرية.

وبطرس هذا هو أكبر الرسل الحواريين وكان دباعًا وقيل صيادًا قتله الملك نيرون في تاسع عشري حزيران وخامس أبيب.

وبولص هذا كان يهوديًا فتنصر بعد رفع المسيح عليه السلام ودعا إلى دينه فقتله الملك نيرون بعد

قتله بطرس بسنة.

دير الجميزة: ويُعرف بدير الجود ويُسمى موضعه البحارة جزائر الدير وهو قبالة الميمون وهو عزبة لدير العزية بني على اسم انطونيوس ويقال انطونة وكان من أهل قمن فلما انقضت أيام الملك دقلتيانوس وفاتته الشهادة أحب أن يتعوّض عنها بعبادة توصل ثوابها أو قريباً من ذلك فترهب وكان أول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضاً عن الشهادة وواصل أربعين يوماً ليلاً ونهاراً طويلاً لا يتناول طعاماً ولا شراباً مع قيام الليل وكان هكذا يفعل في الصيام الكبير كل سنة.

دير العزبة: هذا الدير يُسار إليه في الجبل الشرقيّ ثلاثة أيام بسير الإبل وبينه وبين بحر القلزم مسافة يوم كامل وفيه غالب الفواكه مزدرة وبه ثلاثة أعين تجري وبناه أنطونيوس المقدم ذكره ورهبان هذا الدير لا يزالون دهرهم صائمين لكن صومهم إلى العصر فقط ثم يفطرون ما خلا الصوم الكبير والبرمولات فإن صومهم في ذلك إلى طلوع النجم والبرمولات هي الصوم كذلك بلغتهم.

دير أنابولا: وكان يُقال له أولاً دير بولص ثم قيل له دير بولا ويُعرف بدير النمورة أيضاً وهذا الدير في البرّ الغربيّ من الطور على عين ماء يردّها المسافرون وعندهم أن هذه العين تطهرت منها مريم أخت موسى عليهما السلام عند نزول موسى ببني إسرائيل في بزية القلزم.

وانابولا هذا كان من أهل الإسكندرية فلما مات أبوه ترك له ولأخيه مالاً جمّاً فخاصمه أخوه في ذلك وخرج مغاضباً له فرأى ميئاً يُقبر فاعتبر به ومرّ على وجهه سانحاً حتى نزل على هذه العين فأقام هناك والله تعالى يرزقه فمرّ به انطونيوس وصحبه حتى مات فبني هذا الدير على قبره وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعات وفيه بستان فيه نخل وعنب وبه عين ماء تجري أيضاً.

دير القصير: قال أبو الحسن عليّ بن محمد الشابشتي في كتاب الديارات: وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نزه البقعة وفيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة في الحجر يُسقى له منها الماء وفي هيكله صورة مريم عليها السلام في لوح والناس يقصدون الموضع للنظر إلى هذه الصورة وفي أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون لها أربع طاقات إلى أربع جهات وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجباً بالصورة التي فيه يستحسبها ويشرب على النظر إليها وفي الطريق إلى هذا الدير من جهة مصر صعوبة وأما من قبله فسهل الصعود والنزول وإلى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس يكون فيها وهو مطلق على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهي قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر ويذكرون أن موسى صلوات الله عليه ولد فيها ومنها ألقته أمّه إلى البحر في التابوت وبه أيضاً دير يُعرف بدير شهران ودير القصير هذا أحد الديارات المقصودة والمنزهات المطروقة لحسن موضعه وإشرافه على مصر وأعمالها وقد تال فيه شعراء مصر ووصفوه فذكروا طيبه ونزّهته ولأبي هريرة بن أبي عاصم فيه من المنسرح: كم لي بدير القصير من قصف مع كل ذي صبوة وذي ظرف لهوت فيه بشادين غنّج تقصّر عنه بدائع الوصف وقال ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر: وقد اختلف في القصير فعن ابن لهيعة قال: ليس بقصير موسى النبيّ صلى الله عليه وسلم ولكنه موسى الساحر وعن المفضل بن فضالة عن أبيه قال: دخلنا على كعب الأخبار فقال لنا: ممن أنتم قلنا فتيان من أهل مصر.

فقال: ما تقولون في القصير قلنا قصير موسى.



فقال: ليس بقصير موسى ولكنه قصير عزيز مصر كان إذا جرى النيل يترفع فيه.

وعلى ذلك إنه لمقدس من الجبل إلى البحر.

قال: ويُقال بل كان موقداً يُوقد فيه لفرعون إذا هو ركب من منف إلى عين شمس وكان على المقطم موقد آخر فإذا رأوا النار علموا بركوبه فأعدوا له ما يريد وكذلك إذا ركب منصرفاً من عين شمس والله أعلم وما أحسن قول كشاجم: سلام على دير القصير وسفحه بجنات حلوان إلى النخلات منازل كانت لي بهن مآرب وكن مواخيري ومنتز هاتي إذا جنتها كان الجياد مراكبي ومنصرفي في السفن منحدرات فأقبض بالأسحار وحشي عينها وأقتنص الأنسي في الظلمات معي كل بسام أغر مهذب على كل ما يهوى النديم مواتي ولحمان مما أمسكته كلابنا علينا ومما صيد في الشبكات وكأس وإبريق وناي ومزهر وساق غرير فاتر اللحظات كأن قضيب البان عند اهتزاره تعلم من أعطافه الحركات هنالك تصفو لي مشارب لذتي وتصحب أيام السرور حياتي وقال علماء الأخبار من النصرى: إن أرقاديوس ملك الروم طلب أرسانيوس ليعلم ولده فظن فاستعفي وتحول إلى الجبل المقطم شرقي طرا وأقام في مغارة ثلاث سنين ومات فبعث إليه أرقاديوس فإذا هو قد مات فأمر أن يُبنى على قبره كنيسة وهو المكان المعروف بدير القصير ويُعرف الآن بدير البغل من أجل أنه كان به بغل يستقي عليه الماء فإذا خرج من الدير أتى الموردة وهناك من يملأ عليه فإذا فرغ من الماء تركه فعاد إلى الدير.

وفي رمضان سنة أربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير فأقام الهدم والنهب فيه مدة أيام.

دير مرحنا: قال الشاشتي: دير مرحنا على شاطئ بركة الحبش وهو قريب من النيل وإلى جانبه بساتين أنشأ بعضها الأمير تميم بن المعز ومجلس على عمد حسن البناء مليح الصنعة مسور أنشأه الأمير تميم أيضاً وبقرب الدير بئر تُعرف ببئر مماتي عليها جميزة كبيرة يجتمع الناس إليها ويشربون تحتها وهذا الموضع من مغاني اللعب ومواطن القصف والطرب وهو نزه في أيام النيل وزيادة البحر وامتلاء البركة حسن المنظر في أيام الزرع والنواوير لا يكاد حينئذ يخلو من المنتزهين والمتطربين وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه وهذا الدير يُعرف اليوم بدير الطين بالنون.

دير أبي النعناع: هذا الدير خارج انصنا وهو من جملة عماراتها القديمة وكنيسته في قصره لا في أرضه وهو على اسم أبي بخنس القصير وعيده في العشرين من بابه وسيأتي ذكر أبي دير مغارة شقليل: هو دير لطيف معلق في الجبل وهو نقر في الحجر على صخرة تحتها عقبة لا يتوصل إليه من أعلاه ولا من أسفله ولا سلم له وإنما جعلت له نقور في الجبل فإذا أراد أحد أن يصعد إليه أرخيت له سلبة فأمسكها بيده وجعل رجليه في تلك النقور وصعد وبه طاحونة يديرها حمار واحد ويُطل هذا الدير على النيل تجاه منفلوط وتجاه أم القصور وتجاهه جزيرة يحيط بها الماء وهي التي يُقال لها شقليل وبها قرينتان إحداهما شقليل والأخرى بني شقير ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصرى وهو على اسم يومينا وهو من الأجناد الذين عاقبهم ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية ويسجد للأصنام فثبت على دينه فقتله في عاشر حزيران وسادس عشر بابه.

دير بقطر: بحاجر أنبوب من شرقي بني مرّ تحت الجبل على مائتي قسبة منه وهو دير كبير جداً وله عيد يجتمع فيه نصرى البلاد شرقاً وغرباً ويحضره الأسقف.

وبقطر هذا هو ابن رومانوس كان أبوه من وزراء ديقلطيانوس وكان هو جميلاً شجاعاً له منزلة من الملك فلما تنصر وعده الملك ومناه ليرجع إلى عبادة الأصنام فلم يفعل فقتله في ثاني عشر نيسان

وسابع عشري برمودة.

دير بقطر شق: في بحريّ أبنوب وهو دير لطيف خال وإنما تأتيه النصارى مرة في كل سنة.

وبقطر شق ممن عذبه ديقلطيانوس ليرجع عن النصرانية فلم يرجع فقتله في العشرين من هاتور وكان جندياً.

دير بوجرج: بني على اسم بوجرج وهو خارج المعيصرة بناحية شرق بني مرو تارة يخلو من الرهبان وتارة يعمر بهم وله وقت يُعمل العيد فيه.

دير حماس: وحماس اسم بلد هو بحريها وله عيدان في كل سنة وجموعات متعدّدة.

دير الطير: هذا الدير قديم وهو مطلّ على النيل وله سلالم منحوتة في الجبل وهو قبالة سملوط.

وقال الشابشتي وبنواحي أخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف وفي موضع من الجبل شق فإذا كان يوم عيد هذا الدير لم يبق في البلد بوقير حتى يجيء إلى هذا الموضع فيكون أمراً عظيماً بكثرتها واجتماعها وصياحها عند الشق ولا يزال الواحد بعد الواحد يُدخل رأسه في ذلك الشق ويصيح ويخرج ويجيء غيره إلى أن يعلق رأس أحدها وينشب في الموضع فيضطرب حتى يموت وتتفرّق حينئذٍ الباقية فلا يبقى منها طائر.

وقال القاضي: أبو جعفر القضاعيّ: ومن عجائبها يعني مصر شعب البوقيرات بناحية أشموم من أرض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صاع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة كان معروفاً فتعرض أنفسها على الصاع فكلما أدخل بوقير منها منقاره في الصاع مضى لطيته فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقي الصاع على بوقير منها فيحبسه وتمضي كلها ولا يزال ذلك الذي تحبسه معلقاً حتى يتساقط.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: وقد بطل هذا.

في جملة ما بطل.

دير أبي هرمينة: بحري فاو الخراب وبحريه بربافاو وهي مملوءة كتباً وحكمًا وبين دير الطين وهذا الدير نحو يومين ونصف وأبو هرمينة هذا من قدام الرهبان المشهورين عند النصارى.

دير السبعة جبال بأخميم: هذا الدير داخل سبعة أودية وهو دير عال بين جبال شامخة ولا تشرق عليه الشمس إلا بعد ساعتين من الشروق لعلّو الجبل الذي هو في لطفه وإذا بقي للغروب نحو ساعتين خيل لمن فيه أن الشمس قد غابت وأقبل الليل فيشعلون حينئذٍ الضوء فيه وعلى هذا الدير من خارجه عين ماء تظلمها صفصافة ويُعرف هذا الموضع الذي فيه دير الصفصافة بوادي الملوك لأن فيه نباتاً يقال له الملوكة وهو شبه الفجل وماؤه أحمر فان يدخل في صناعة علم أهل الكيمياء ومن داخل هذا الدير دير القرقس: وهو في أعلى جبل قد نُقر فيه ولا يُعلم له طريق بل يصعد إليه في نقور في الجبل ولا يتوصل إليه إلا كذلك وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجار بان.

دير صبرة: في شرقيّ أخميم عُرف بعرب يقال لهم بني صبرة وهو على اسم ميخائيل الملك وليس

به غير راهب واحد.

دير أبي بشادة الأسقف: قريب من ناحية انقه وهو بالحاجر وتجاهه في الغرب منشأة اخميم وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى.

دير بوهور الراهب: ويُعرف بدير سواده وسواده عرب تنزل هناك وهو قبالة منية بني خصيب خرّبتة العرب وهذه الأديرة كلها في الشرق من النيل وجميعها لليعاقبة وليس في الجانب الشرقيّ الآن سواها وأما الجانب الغربيّ من النيل فإنه كثير الديارات لكثرة عمارته.

دير دموة بالجيزة: وتُعرف بدموة السباع وهو على اسم قزمان ودميان وهو دير لطيف وتزعم النصارى أن بعض الحكماء كان يُقال له سبع أقام بدموة وأن كنيسة دموة التي بأيدي اليهود الآن كانت ديرًا من ديارات النصارى فابتاعته منهم اليهود في ضائقة نزلت بهم وقد تقدّم ذكر كنيسة دموة وقزمان ودميان من حكماء النصارى ورهبانهم العباد ولهما أخبار عندهم.

دير نهيا: قال الشابشتي: ونهيا بالجيزة وديرها هذا من أحسن ديارات مصر وأنزهها وأطيبها موضعاً وأجلها موقعاً عامر برهبانه وسكانه وله في أيام النيل منظر عجيب لأن الماء يحيط به من جميع جهاته فإذا انصرف الماء وزرعت الأرض أظهرت أراضيها غرائب النواوير وأصناف الزهر وهو من المنتزهات الموصوفة والبقاع المستحسنة وله خليج يجتمع فيه سائر الطير فهو أيضاً متصيد ممنوع وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيبه قلت وقد خرب هذا دير طمويه: قال ياقوت: طمويه - بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو ساكنة - قرينتان بمصر إحداهما في كورة المرتاحية والأخرى بالجيزة قال الشابشتي: وطمويه في الغرب بإزاء حلوان والدير راكب البحر حوله الكروم والبساتين والنخل والشجر وهو نزه عامر أهل وله في النيل منظر حسن وحين تخضر الأرض يكون في بساطين من البحر والزرع وهو أحد منتزهات أهل مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة.

ولابن أبي عاصم المصريّ فيه من البسيط: واشرب بطمويه من صهباء صافية تزرى بخرم قرى هيت وعانات على رياض من النوار زاهرة تجري الجداول فيها بين جنات كأن نبت الشقيق العصفريّ بها كاسات خمر بدت في إثر كاسات كأن نرجسها من حُسنه حدق في خفية يتناجى بالإشارات كأنما النيل في مرّ النسيم به مستلثم في دروع سابريات منازل كنت مفتوناً بها شعفاً وكن قدما مواخيري وحاناتي إذ لا أزال ملماً بالصبوح على ضرب النواقيس صباً بالديارات قلت هذا الدير عند النصارى على اسم بوجرج ويجتمع فيه النصارى من النواحي:

### ▲ دير أفاص

: وصوابها أقفهس وقد خرب.

دير الخادم: على جانب المنهي بأعمال البهنسا على اسم غبريال الملك به بستان فيه نخل وزيتون.

دير أشنين: عُرف بناحية أشنين فإنه في بحريها وهو لطيف على اسم السيدة مريم وليس به سوى راهب واحد.

دير ايسوس: ومعنى ايسوس يسوع ويقال له دير أرجنوس وله عيد في خامس عشري بشنس فإذا كان ليلة هذا اليوم سدّت بئر فيه تعرف ببئر ايسوس وقد اجتمع الناس إلى الساعة السادسة من النهار

ثم كشفوا الطابق عن البئر فإذا بها قد فاض ماؤها ثم ينزل فحيث وصل الماء قاسوا منه إلى موضع استقرّ فيه الماء فما بلغ كانت زيادة النيل في تلك السنة من الأذرع.

دير سدمنت: على جانب المنهي بالحاجر بين الفيوم والريف على اسم بوجرج وقد ضعفت أحواله عما كان عليه وقل ساكنه.

دير النقلون: ويقال له دير الخشبة ودير غبريال الملك وهو تحت مغارة في الجبل الذي يُقال له طارف الفيوم وهذه المغارة تُعرف عندهم بمظلة يعقوب يزعمون أن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر كان يستظل بها وهذا الجبل مطلقاً على بلدين يقال لهما اطفيح شيلا وشلا.

ويملا الماء لهذا الدير من بحر المنهي ومن تحت دير سدمنت ولهذا الدير عيد يجتمع فيه نصارى دير القلمون: هذا الدير في برية تحت عقبة القلمون يتوصل المسافر منها إلى الفيوم يُقال لها عقبة الغريق وبني هذا الدير على اسم صمويل الراهب وكان في زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومات في ثامن كيهك وفي هذا الدير نخل كثير يُعمل من ثمره العجوة وفيه أيضاً شجر اللبخ ولا يوجد إلا فيه وثمره بقدر الليمون طعمه حلو في مثل طعم الرامخ ولنواه عدة منافع وقال أبو حنيفة في كتاب النبات: ولا ينبت اللبخ إلا بأنصنا وهو عود تنشر منه ألواح السفن وربما أرغف ناشرها ويبيع اللوح منها بخمسين ديناراً ونحوها وإذا شدّ لوح منها بلوح وطرحا في الماء سنة التأمنا وصارا لوحاً واحداً وفي هذا الدير قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما إشراق وفيه أيضاً عين ماء تجري وفي خارجة عين أخرى وبهذا الوادي عدة معابد قديمة وثم إلى وإيُّقال له الأملح فيه عين ماء تجري ونخيل مثمرة تأخذ العرب ثمرها وخارج هذا الدير ملاحه يبيع رهبان الدير ملحها فيعم تلك الجهات.

دير السيدة مريم: خارج طنبدى ليس فيه سوى راهب واحد وهو على غير الطريق المسلوك وكان بأعمال البهنسا عدة ديارات خربت.

دير برقانا: بحريّ بني خالد وهو مبنيّ بالحجر وعمارته حسنة وهو من أعمال المنية وكان دير بالوجه: على جنب المنهي وهو لأهل دلجة وهو من الأديرة الكبار وقد خرب حتى لم يبق به سوى راهب أو راهبين وهو بإزاء دلجة بينه وبينها نحو ساعتين.

دير مرقورة: ويقال أبو مرقورة هذا الدير تحت دلجة بخارجها من شرقيها وليس به أحد.

دير صنبو: في خارجها من بحريها على اسم السيدة مريم وليس به أحد.

دير تادرس: قبليّ صنبو وقد تلاشى أمره لاتضاع حال النصارى.

دير الريرمون: في شرقيّ ناحية الريرمون وهو شرقيّ ملوى وغربيّ أنصنا وهو على اسم الملك غبريال.

دير المحرق: تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام في موضعه ستة أشهر وأياماً وله عيد عظيم يعرف بعيد الزيتون وعيد العنصرة يجتمع فيه عالم كثير.

دير بني كلب: عُرف بذلك لنزول بني كلب حوله وهو على اسم غبريال وليس فيه أحد من الرهبان

وإنما هو كنيسة لنصارى منفلوط وهو غربيها.

دير الجاولية: هذا الدير ناحية الجاولية من قبليها وهو على اسم الشهيد مرقوس الذي يُقال له مرقورة وعليه رُزق محبسة وتأتيه النذورات والعيواید وله عيدان في كل سنة.

دير السبعة جبال: هذا الدير على رأس الجبل الذي غربي سيوط على شاطئ النيل ويُعرف بدير بخنس القصير وله عدة أعياد وخراب في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة من منسرتة ليلاً.

بخنس: ويقال أبو بخنس القصير كان راهباً قمصاً له أخبار كثيرة منها: أنه غرس خشبة يابسة في الأرض بأمر شيخه له وسقاها الماء مدة فصارت شجرة مثمرة تكل منها الرهبان وسميت شجرة الطاعة ودفن في دير.

دير المطل: هذا الدير على اسم السيدة مريم وهو على طرف الجبل تحت دير السبعة جبال قبالة سيوط وله عيد يحضره أهل النواحي وليس به أحد من الرهبان.

أديرة أدرنكة اعلم أن ناحية أدرنكة هي من قرى النصارى الصعايدة ونصاراها أهل علم في دينهم وتفاسيرهم في اللسان القبطي ولهم أديرة كثيرة في خارج البلد من قبليها مع الجبل وقد خرب أكثرها وبقي منها: دير بوجرج: وهو عامر البناء وليس به أحد من الرهبان ويعمل فيه عيد في أوانه.

دير أرض الحاجر ودير ميكائيل ودير كرفونه: على اسم السيدة مريم وكان يقال له ارافونه واغرافونا ومعناه النساخ فإن نساخ علوم النصارى كانت في القديم تقيم به وهو على طرف دير أبي بغام: تحت دير كرفونه بالحاجر وقد كان أبو بغام جندياً في أيام ديقلطيانوس فتنصر وعذب ليرجع عن دينه ثم قتل في ثامن عشري كانون الأول وثاني كيهك.

دير بوساويرس: بحاجر أدرنكة كان على اسم السيدة مريم وكان ساويرس من عظماء الرهبان فعمل بطرگا وظهرت آية عند موته وذلك أنه أنذرهم لما سار إلى الصعيد بأنه إذا مات ينشق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرها فلما كان في بعض الأيام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس قد مات فأرخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسموا الدير حينئذ باسمه.

دير تادرس: تحت دير بوساويرس وتادرس اثنان كانا من أجناد ديقلطيانوس أحدهما يقال له قاتل التنين والآخر الاسفهلار وقتلا كما قُتل غيرهما.

دير منسى أك: ويُقال منساك وبني ساك وايساك ومعنى ذلك إسحاق وكان على اسم السيدة ماريهام يعني مار مريم ثم عرف بمنساك وكان راهباً قديماً له عندهم شهرة وبهذا الدير بئر تحته في الحاجر منها شرب الرهبان فإذا زاد النيل شربوا من مائه.

دير الرسل: تحت دير منساك ويعرف بدير الأثل وهو لأعمال بوتيج ودير منساك لأهل ربة هو ودير ساويرس ودير كرفونه لأهل سيوط ودير بوجرج لأهل أدرنكة ودير الأثل كان في خراب فعمر بجانبه كفر لطيف عرف بمنشأة الشيخ لأن الشيخ أبا بكر الشاذلي أنشأه وأنشأ بستاناً كبيراً وقد وجد موضعه بئراً كبيرة وجد بها كنزاً أخبرني من شاهد من ذهبه دنانير مربعة بأحد وجهيها صليب وزنة الدينار مثقال ونصف.

وأديرة أدرنكة المذكورة قريب بعضها من بعض وبينها مغاير عديدة منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة القدماء كما على البرابي وهي مزخرفة بعدة أصباغ ملونة تشتمل على علوم شتى ودير السبعة جبال ودير المطل ودير النساخ خارج سيوط في المقابر ويقال أنه كان في الحاجرين ثلاثمائة وستون ديرًا وأن المسافر كان لا يزال من البدرشين إلى أصفون في ظل البساتين وقد خرب ذلك وباد أهله.

دير موشه: وموشه خارج سيوط من قبليها بني على اسم توما الرسول الهندي وهو بين الغيطان قريب من ربة وفي أيام النيل لا يوصل إليه إلا في مركب وله أعياد والأكلب على نصارى هذه الأديرة معرفة القبطي الصعيدي وهو أصل اللغة القبطية وبعدها اللغة القبطية البحرية ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية ولهم أيضًا معرفة تامة باللغة الرومية.

دير أبي مقروفة: وأبو مقروفة اسم للبلدة التي بها هذا الدير وهو منقور في لحف الجبل وفيه عدة مغاير وهو على اسم السيدة مريم ومقروفة نصارى كثيرة غنامة ورعاة أكثرهم همج دير بومغام: خارج طما وأهلها نصارى وكانوا قديمًا أهل علم.

دير بوشنوده: ويُعرف بالدير الأبيض وهو غربي ناحية سوهاي وبنائه بالحجر وقد خرب ولم يبق منه إلا كنيسة ويقال إن مساحته أربعة فدادين ونصف وربع والباقي منه نحو فدان وهو دير قديم.

الدير الأحمر: ويُعرف بدير أبي بشاي وهو بحريّ الدير الأبيض بينهما نحو ثلاث ساعات وهو دير لطيف مبني بالطوب الأحمر وأبو بشاي هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاث آلاف راهب وله دير آخر في برية شبهاة.

دير أبي ميساس: ويقال أبو ميسيس واسمه موسى وهذا الدير تحت البلينا وهو دير كبير.

وأبو ميسيس هذا كان راهبًا من أهل البلينا وله عندهم شهرة وهم يندرونه ويزعمون فيه مزاعم ولم يبق بعد هذا الدير إلا أديرة بحاجر اسنا ونقادة قليلة العمارة وكان بأصفون دير كبير وكانت أصفون من أحسن بلاد مصر وكثر نواحي الصعيد فواكه وكان رهبان ديرها معروفين بالعلم والمهارة فخربت أصفون وخرب ديرها.

وهذا آخر أديرة الصعيد وهي كلها متلاشية آيلة إلى الدثور بعد كثرة عمارتها ووفور أعداد رهبانها وسعة أرزاقهم وكثرة ما كان يحمل إليهم.

وأما الوجه البحري: فكان فيه أديرة كثيرة خربت وبقي منها بقية فكان بالمقس خارج القاهرة من بحريها عدة كنائس هدمها الحاكم بأمر الله أبو علي منصور في تاسع عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وأباح ما كان فيها فنهب منها شيء كثير جدًا بعدما أمر في شهر ربيع الأول منها بهدم كنائس راشدة خارج مدينة مصر من شرقيها وجعل موضعها الجامع المعروف براشدة وهدم أيضًا في سنة أربع وتسعين كنيسة هناك وألزم النصارى بلبس السواد وشد الزنار وقبض على الأملاك التي كانت محبسة على الكنائس والأديرة وجعلها في ديوان السلطان وأحرق عدة كثيرة من الصليبان ومنع النصارى من إظهار زينة الكنائس في عيد الشعانين وتشدد عليهم وضرب جماعة منهم وكانت بالروضة كنيسة بجوار المقياس فهدمها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ثمان وثلاثين وستمائة وكان في ناحية أبي النمرس من الجيزة كنيسة قام في هدمها رجل من الزبالعة لأنه سمع أصوات النواقيس يجهر بها في ليلة الجمعة بهذه الكنيسة فلم يتمكن من ذلك في

أيام الأشرف شعبان بن حسين لتمكن الأقباط في الدولة فقام في ذلك مع الأمير الكبير برقوق وهو يومئذ القائم بتدبير الدولة حتى هدمها على يد القاضي جمال الدين محمود العجمي محتسب القاهرة في ثامن عشر رمضان سنة ثمانين وسبعمائة وعملت مسجداً.

دير الخندق: ظاهر القاهرة من بحريها عمره القائد جوهر عوضاً عن دير هدمه في القاهرة كان بالقرب من الجامع الأحمر حيث البئر التي تعرف الآن ببئر العظيمة وكانت إذ ذاك تُعرف ببئر العظام من أجل أنه نقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق ثم هدم دير الخندق في رابع عشرين شوال سنة ثمان وسبعين وستمائة في أيام المنصور قلاوون ثم جدد هذا الدير الذي هناك بعد ذلك وعمل كنيستين يأتي ذكرهما في الكنائس.

دير سرياقوس: كان يُعرف بأبي هور وله عيد يجتمع فيه الناس وكان فيه أعجوبة ذكرها الشابشتي وهو أن من كان به خنازير أخذه رئيس هذا الدير وأضجعه وجاءه بخنزير فلحس موضع الموضع ثم أكل الخنازير التي فيه فلا يتعدى ذلك إلى الموضع الصحيح فإذا نظف الموضع ذرّ عليه رئيس الدير من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ودهنه بزيت قنديل البيعة فإنه يبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير الذي كل خنازير العليل فيذبح ويحرق ويعدّ رماده لمثل هذه الحالة فكان لهذا الدير دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة وفيه خلق من النصارى.

دير اتريب: ويُعرف بماري مريم وعيده في حادي عشرين بؤنه وذكر الشابشتي أن حمامة بيضاء تأتي في ذلك العيد فتدخل المذبح لا يدرون من أين جاءت ولا يرونها إلى يوم مثله.

وقد تلاشى أمر هذا الدير حتى لم يبق به إلا ثلاثة من الرهبان لكنهم يجتمعون في عيده وهو دير المغطس: عند الملاحات قريب من بحيرة البراس وتحج إليه النصارى من قبلي أرض مصر ومن بحريها مثل حجهم إلى كنيسة القيامة وذلك يوم عيده وهو في شنس ويسمونه عيد الظهور من أجل أنهم يزعمون أن السيدة مريم تظهر لهم فيه ولهم فيه مزاعم كلها من أكاذيبهم المختلفة وليس بحذاء هذا الدير عمارة سوى منشأة صغيرة في قبليه بشرق وبقربه الملاحة التي يؤخذ منها الملح الرشيدى وقد هُدم هذا الدير في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وثمانمائة بقيام بعض الفقراء المعتقدين.

دير العسكر: في أرض السباخ على يوم من دير المغطس على اسم الرسل وبقربه ملاحة الملح الرشيدى ولم يبق به سوى راهب واحد.

دير جميانة: على اسم بوجرج قريب من دير العسكر على ثلاث ساعات منه وعيده عقب عيد دير المغطس وليس به الآن أحد.

دير الميمنة: بالقرب من دير العسكر كانت له حالات جليلة ولم يكن في القديم دير بالوجه البحريّ أكثر رهباناً منه إلا أنه تلاشى أمره وخرّب فنزله الحبش وعمروه وليس في السباخ سوى هذه الأربعة الأديرة.

وأما وادي هيبب وهو وادي النطرون ويعرف ببرية شبهاة وببرية الأسقط وبميزان القلوب فإنه كان بها في القديم مائة دير ثم صارت سبعة ممتدة غرباً على جانب البرية القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم وهي في رمال منقطعة وسباخ مالحة وبران منقطعة معطشة وقفار مهلكة وشارب أهلها من حفاثر وتحمل النصارى إليهم الندور والقرايين وقد تلاشيت في هذا الوقت بعدما ذكر مؤرخو النصارى أنه خرج إلى عمرو بن العاص من هذه الأديرة سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز

فسلموا عليه وأنه كتب لهم كتابًا هو عندهم.

فمنها دير أبي مقار الكبير: وهو دير جليل عندهم وبخارجه أديرة كثيرة خربت وكان دير النساك في القديم ولا يصح عندهم بطركية البطرك حتى يجلسوه في هذا الدير بعد جلوسه بكرسي إسكندرية ويذكر أنه كان فيه من الرهبان ألف وخمسمائة لا تزال مقيمة به وليس به الآن إلا قليل منهم والمقارات ثلاثة: كبرهم صاحب هذا الدير ثم أبو مقار الإسكندراني ثم أبو مقار الأسقف.

وهؤلاء الثلاثة قد وضعت رممهم في ثلاث أنابيب من خشب وتزورها النصارى بهذا الدير وبه أيضاً الكتاب الذي كتبه عمرو بن العاص لرهبان وأدي هبيب بجرانة نواحي الوجه البحري على ما أخبرني من أخبر برؤيته فيه.

أبو مقار الأكبر: هو مقاريوس أخذ الرهبانية عن أنطونيوس وهو أول من لبس عندهم القلنسوة والاشكيم وهو سير من جلد فيه صليب يتوشح به الرهبان فقط ولقي انطونيوس بالجبل الشرقي من حيث دير العزبة وأقام عنده مدة ثم ألبسه لباس الرهبانية وأمره بالمسير إلى وادي النطرون ليقيم هناك ففعل ذلك واجتمع عنده الرهبان الكثيرة العدد وله عندهم فضائل عديدة منها: أنه كان لا يصوم الأربعين إلا طويلاً في جميعها لا يتناول غذاء ولا شرباً البتة مع قيام ليلها.

وكان يعمل الخوص ويتقوت منه وما أكل خبزاً طرياً قط بل يأخذ القراقيش فيبليها في نقاعة الخوص ويتناول منها هو ورهبان الدير ما يمسك الرmq من غير زيادة هذا قوتهم مدة حياتهم حتى مضوا لسبيلهم وأما أبو مقار الإسكندراني فإنه ساح من الإسكندرية إلى مقاريوس المذكور وترهب على يديه ثم كان أبو مقار الثالث وصار أسقفًا.

دير أبي بخنس القصير: يقال أنه عمر في أيام قسطنطين بن هيلانة ولأبي بخنس هذا فضائل مذكورة وهو من أجل الرهبان وكان لهذا الدير حالات شهيرة وبه طوائف من الرهبان ولم يبق به الآن إلا ثلاثة رهبان.

دير الياس: عليه السلام وهو دير للحبشة وقد خرب دير بخنس كما خرب دير الياس أكلت الأريضة أخشابهما فسقطا وصار الحبشة إلى دير سيدة بوبخنس القصير وهو دير لطيف بجوار دير بوبخنس القصير.

وبالقرب من هذه الأديرة.

دير انبانوب: وقد خرب هذا الدير أيضاً انبانوب هذا من أهل سمند قتل في الإسلام ووضع دير الأرمن: قريب من هذه الأديرة وتد خرب.

وبجوارها أيضاً: دير بوبشاي: وهو دير عظيم عندهم من أجل أن بوبشاي هذا كان من الرهبان الذين في طبقة مقاريوس وبخنس القصير وهو دير كبير جداً.

دير بازاء دير بوبشاي: كان بيد اليعاقبة ثم ملكته رهبان السريان من نحو ثلاثمائة سنة وهو بيدهم الآن ومواضع هذه الأديرة يُقال لها بركة الأديرة.

دير سيدة برموس: على اسم السيدة مريم فيه بعض رهبان.



وبإزائه: دير موسى: ويقال أبو موسى الأسود ويقال برموس وهذا الدير لسيدة برموس فبرموس اسم الدير وله قصة حاصلها أن مكسيموس ودوماديوس كانا ولدي ملك الروم وكان لهما معلم يقال له ارسانيوس فسار المعلم من بلاد الروم إلى أرض مصر وعبر برية شيهات هذه وترهب وأقام بها حتى مات وكان فاضلاً.

وأناه في حياته ابنا الملك المذكوران وترهبا على يديه فلما ماتا بعث أبوهما فبنى على اسمهما كنيسة برموس.

وأبو موسى الأسود كان لصاً فاتكاً قتل مائة نفس ثم إنه تنصر وترهب وصنف عدة كتب وكان ممن يطوي الأربعين في صومه وهو بربري.

دير الزجاج: هذا الدير خارج مدينة الإسكندرية ويقال له الهايطون وهو على اسم بوجرج الكبير ومن شرط البطرك أنه لا بد أن يتوجه من المعلقة بمصر إلى دير الزجاج هذا ثم إنهم في هذا الزمان تركوا ذلك فهذه أديرة اليعاقبة.

وللنساء ديارات تختص بهن: فمنها دير الراهبات بحارة زويلة من القاهرة وهو دير عامر بالأبكار المترهبات وغيرهن من نساء النصارى.

دير البنات: بحارة الروم بالقاهرة عامر بالنساء المترهبات.

دير المعلقة: بمدينة مصر وهو أشهر ديارات النساء عامر بهن.

دير بربارة: بمصر بجوار كنيسة بربارة عامر بالبنات المترهبات بربارة: كانت قديسة في زمان دقلطيانوس فعذبها لترجع عن ديانتها وتسجد للأصنام فثبتت على دينها وصبرت على عذاب شديد وهي بكر لم يمسه رجل فلما ينس منها ضرب عنقها وعنق عدة من النساء معها وللنصارى الملكية قلاية بطركهم بجوار كنيسة ميكائيل بالقرب من جسر الأفرم خارج مصر وهي مجمع الرهبان الواردين من بلاد الروم.

دير بخنس القصير: المعروف بالقصير وصوابه عندهم دير القصير على وزن شهيد وحرف فقيل دير القصير بضم القاف وفتح الصاد وتشديد الياء فسماه المسلمون دير القصير بضم القاف وفتح الصاد وإسكان الياء آخر الحروف كأنه تصغير قصير وأصله كما عرفتك دير القصير الذي هو ضد الطويل وسمي أيضاً دير هرقل ودير البغل وقد تقدم ذكره.

وكان من أعظم ديارات النصارى وليس به الآن سوى واحد يحرسه وهو بيد الملكية.

دير الطور: قال ابن سيده: الطور الجبل وقد غلب على طور سيناء جبل بالشام وهو بالسريانية طوري والنسب إليه طوري وطواري.

وقال ياقوت: طور سبعة مواضع: الأول طور زيتا بلفظ الزيت من الأدهان مقصور علم لجبل بقرب رأس عين.

الثاني طور زيت أيضاً جبل بالبيت المقدس وهو شرقي سلوان.

الثالث الطور علم لجبل بعينه مطلقاً على مدينة طبرية بالأردن.

الرابع الطور علم لجبل كورة تشتمل على عدة قرى بأرض مصر من الجهة القبليّة بين مصر وجبل فاران.

الخامس طور سيناء اختلفوا فيه فقول هو جبل بقرب إيلة وقيل جبل بالشام وقيل سيناء حجازية وقيل سحرثية.

السادس طور عبيد بفتح العين وسكون الباء الموحدة وكسر الدال المهملة وياء آخر الحروف ونون اسم لبلدة من نواحي نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل جودي.

السابع طور هارون أخي موسى عليهما السلام.

وقال الواحديّ: في تفسيره وقال الكلبيّ وغيره: والجبل في قوله تعالى ولكن انظر إلى الجبل أعظم جبل بمدين يقال له زبير وذكر الكلبيّ أن الطور سمي ببطور بن إسماعيل.

قال السهيليّ: فلعله محذوف الياء إن كان صح ما قاله.

وقال عمر بن شيبّة: أخبرني عبد العزيز عن أبي معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أربعة أنهار في الجنة وأربعة أجبل وأربع ملاحم في الجنة فأما الأنهار فسيحان وجيحان والنيل والفرات وأما الأجبل فالطور ولبنان وأحد وورقان وسكت عن الملاحم ".

وعن كعب الأحبار معاقل المسلمين ثلاثة: فمعقلهم من الروم دمشق ومعقلهم من الدجال الأردن ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور.

وقال شعبة عن أرطاة بن المنذر: إذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام أي قد أخرجت خلقاً من خلقي لا يطيقهم أحد غيري.

فمر بمن معك إلى جبل الطور فيمر ومعه من الذراري اثنا عشر ألقاً.

وقال طلق بن حبيب عن زرعة: أردت الخروج إلى الطور فأتيت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقلت له: فقال إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الحرام والمسجد الأقصى.

فدع عنك الطور فلا تأته.

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعيّ وقد ذكر كور أرض مصر: ومن كور القبلة قرى الحجاز وهي: كورة الطور وفاران وكورة راية والقلم وكورة إيلة وحيزها ومدين وحيزها والعوييد والحوراء وحيزها ثم كورة بدا وشعيب.

قلت لا خلاف بين علماء الأخبار من أهل الكتاب أن جبل الطور هذا هو الذي كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام عليه أو عنده وبه إلى الآن دير بيد الملكية وهو عامر وفيه بستان كبير به نخل

وعنب وغير ذلك من الفواكه.

وقال الشابشتي: وطور سينا هو الجبل الذي تجفي فيه النور لموسى بن عمران عليه السلام وفيه صُعق والدير في أعلى الجبل مبنيّ بحجر أسود عرض حصنه سبع أذرع وله ثلاثة أبواب حديد وفي غربيه باب لطيف وقُدّامه حجر أقيم إذا أرادوا رفعه رفعوه وإذا قصدهم أحد أرسلوه فانطبق على الموضع فلم يُعرف مكان الباب وداخل الدير عين ماء وخارجه عين أخرى وزعم النصارى أن به ناراً من أنواع النار التي كانت ببيت المقدس يقدون منها في كلّ عشية وهي بيضاء لطيفة ضعيفة الحرّ لا تحرق ثم تقوى إذا أوقد منها السراج وهو عامر بالرهبان والناس يقصدونه وهو من الديارات الموصوفة.

قال ابن عامر فيه: يا راهبَ الدير ماذا الضوءُ والنورُ فقد أضاءَ بما في ديرك الطررُ هل حلتِ الشمسُ فيه دون أبرجها أو غُيِّبَ البدرُ فيه وهو مستورُ فقالَ ما حلّه شمس ولا قمر لكن تقربَ فيه اليومُ قوريرُ قلت ذكر مؤرخو النصارى أنّ هذا الدير أمر بعمارته بوسطيانوس ملك الروم بقسطنطينية فعمل عليه حصن فوقه عدّة قلالي وأقيم فيه الحرس لحفظ رهبانه من قوم يُقال لهم بنو صالح من العرب وفي أيام هذا الملك كان المجمع الخامس من مجامع النصارى وبينه وبين القلزم وكانت مدينة طريقان إحداهما في البرّ والأخرى في البحر وهما جميعاً يؤدّيان إلى مدينة فاران وهي من مدائن العمالقة ثم منها إلى الطور مسيرة يومين ومن مدينة مصر إلى القلزم ثلاثة أيام ويُصعد إلى جبل الطور بستة آلاف وستمائة وست وستين مرقة وفي نصف الجبل كنيسة لإيلياء النبي وفي قلته كنيسة على اسم موسى عليه السلام بأساطين من رخام وأبواب من صفر وهو الموضع الذي كلم الله تعالى فيه موسى وقطع منه الألواح ولا يكون فيها إلا راهب واحد للخدمة ويزعمون أنه لا يقدر أحد أن يبني فيها بل يُهيا له موضع من خارج يبيت فيه ولم يبق لهاتين الكنيسيتين وجود.

دير البنات بقصر الشمع بمصر: وهو على اسم بوجرج وكان مقياس النيل قبل الإسلام وبه آثار ذلك إلى اليوم فهذا ما للنصارى اليعاقبة والملكية رجالهم ونسائهم من الديارات بأرض مصر قبليها وبحريها وعدتها ستة وثمانون ديراً منها لليعاقبة ديراً وللملكية.

التالي

الفهرس

السابق

## المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار

### الجزء الرابع

( 167 ) من 167 )

التالي

الفهرس

السابق

### ▲ كنائس النصارى

قال الأزهري: كنيسة اليهود جمعها كنائس وهي معربة أصلها كنشست.

انتهى.

وقد نطقت العرب بذكر الكنيسة.

قال العباس بن مرداس السلمي: يدورون بي في ظل كل كنيسة وما كان قومي بينون الكنائس وقال ابن قيس الرقيات: كأنها دمية مصورة في بيعة من كنائس الروم.

كنيسة الخندق ظاهر القاهرة إحداهما على اسم غبريال الملاك والأخرى على اسم مرقوريوس وعُرفت برويس وكان راهبًا مشهورًا بعد سنة ثمانمائة وعند هاتين الكنيستين يُقبر النصارى موتاهم وتُعرف بمقبرة الخندق وعمرت هاتان الكنيستان عوضًا عن كنائس المقس في الأيام الإسلامية.

كنيسة حارة زويلة بالقاهرة: كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة وهي على اسم السيدة وزعموا أنها قديمة تُعرف بالحكيم زيلون وكان قيل الملة الإسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة وأنه صاحب علوم شتى وأن له كنزًا عظيمًا يتوصل إليه من بئر هناك.

بحارة الروم من القاهرة على اسم السيدة مريم وليس لليعاقبة بالقاهرة سوى هاتين الكنيستين وكان بحارة الروم أيضًا كنيسة أخرى يقال لها كنيسة بربراة هدمت في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وسبب ذلك أن النصارى رفعوا قصة للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يسألون الإذن في إعادة ما تهدم منها فأذن لهم في ذلك فعمروها أحسن ما كانت فغضبت طائفة من المسلمين ورفعوا قصة للسلطان بأن النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناء لم يكن فيها فرسح للأمر علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة بهدم ما جددوه فركب وقد اجتمع الخلائق فبادروا وهدموا الكنيسة كلها في أسرع وقت وأقاموا في موضعها محرابًا وأذنوا وصلوا وقرأوا القرآن كل ذلك بأيديهم فلم تمكن معارضتهم خشية الفتنة فاشتد الأمر على النصارى وشكوا أمرهم للقاضي كريم الدين ناظر الخاص فقام وقعد غضبًا لدين أسلافه وما زال بالسلطان حتى رسم بهدم المحراب فهدم وصار موضعه كوم تراب ومضى الحال على ذلك.

هذه الكنيسة قريبة من السدّ فيما بين الكيمان بطريق مصر وهي ثلاث كنائس متجاورة إحداها لليعاقبة والأخرى للسريان وأخرى للأرمن ولها عيد في كل سنة تجتمع إليه النصارى.

كنيسة المعلقة بمدينة مصر في خط قصر الشمع على اسم السيدة وهي جليلة القدر عندهم وهي غير القلاية التي تقدم ذكرها.

كنيسة شنوده بمصر نسبت لأبي شنودة الراهب القديم وله أخبار منها: أنه كان ممن يطوى في الأربعين إذا صام وكان تحت يده ستة آلاف راهب يتقوّت هو وإياهم من عمل الخوص وله عدّة مصنفات.

كنيسة مريم بجوار كنيسة شنودة هدمها عليّ بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس أمير مصر لما ولي من قبل أمير المؤمنين الهادي موسى في سنة تسع وستين ومائة وهدم كنائس محرس قسطنطين وبذل له النصارى في تركها خمسين ألف دينار فامتنع فلما عزل بموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس في خلافة هارون الرشيد أذن موسى بن عيسى للنصارى في بنیان الكنائس التي هدمها عليّ بن سليمان فبنيت كلها بمشورة الليث بن سعد و عبد الله بن لهيعة.

وقالا هو من عمارة البلاد واحتجا بأن الكنائس التي بمصر لم تبني إلا في الإسلام في زمن الصحابة والتابعين.

كنيسة بوجرج الثقة: هذه الكنيسة في درب بخط قصر الشمع بمصر يقال له درب الثقة ويجاورها كنيسة سيده بوجرج.

كنيسة بربرة بمصر كبيرة جليلة عندهم وهي تنسب إلى القديسة بربرة الراهبة وكان في زمانها راهبتان بكران وهما ايسي وتكلة ويُعمل لهنّ عيد عظيم بهذه الكنيسة بحضره البطريرق.

كنيسة بوسرحه: بالقرب من بربرة بجوار زاوية ابن النعمان فيها مغارة يُقال أن المسيح وأمه مريم عليهما السلام جلسا بها.

كنيسة بابليون في قبليّ قصر الشمع بطريق جسر الأفرم وهذه الكنيسة قديمة جدًّا وهي لطيفة ويذكر أن كنيسة تاودورس الشهيد: بجوار بابليون نسبت للشهيد تاودورس الاسفهلار.

كنيسة بومنا بجوار بابليون أيضًا: وهاتان الكنيستان مغلوقتان لخراب ما حولهما.

كنيسة بومنا بالحمراء وتعرف الحمراء اليوم بخط قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر وأحدثت هذه الكنيسة في سنة سبع عشرة ومائة من سني الهجرة بإذن الوليد بن رفاعة أمير مصر فغضب وهيب اليحصبيّ وخرج على السلطان وجاء إلى ابن رفاعة ليفتك به فأخذ وقتل وكان وهيب مدريًا من اليمن قدم إلى مصر فخرج القراء على الوليد بن رفاعة غضبًا لوهيب وقتلوه وصارت معونة امرأة وهيب تطوف ليلاً على منازل القراء تحرّضهم على الطلب بدمه وقد حلقت رأسها وكانت امرأة جزلة فأخذ ابن رفاعة أبا عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبي بالقراء فاعتذر وخلي ابن رفاعة عنهم فسكنت الفتنة بعدما قتل جماعة ولم تزل هذه الكنيسة بالحمراء إلى أن كانت واقعة هدم

الكنائس في أيام الناصر محمد بن قلاوون على ما يأتي ذكر ذلك والخبر عن هدم جميع كنائس أرض مصر وديارات النصارى في وقت واحد.

كانت في الموضع الذي فيه البركة الناصرية بالقرب من قناطر السباع في برّ الخليج الغربي غربيّ اللوق واتفق في أمرها عدّة حوادث وذلك أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أنشأ ميدان المهاري المجاور لقناطر السباع في سنة عشرين وسبعمئة قصد بناء زريبة على النيل الأعظم بجوار الجامع الطيبرسيّ فأمر بنقل كوم تراب كان هناك وحفر ما تحته من الطين لأجل بناء الزريبة وأجرى الماء إلى مكان الحفر فصار يُعرف إلى اليوم بالبركة الناصرية وكان الشروع في حفر هذه البركة من آخر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وعشرين وسبعمئة فلما انتهى الحفر إلى جانب كنيسة الزهريّ وكان بها كثير من النصارى لا يزالون فيها وبجانبها أيضاً عدّة كنائس في الموضع الذي يُعرف اليوم بحكر أقبغا ما بين السبع سقايات وبين قنطرة السّد خارج مدينة مصر أخذ الفعلة في الحفر حول كنيسة الزهريّ حتى بقيت قائمة في وسط الموضع الذي عينه السلطان ليحفر وهو اليوم بركة الناصرية وزاد الحفر حتى تعلقت الكنيسة وكان القصد من ذلك أن تسقط من غير قصد لخرابها وصارت العامّة من غلمان الأمراء العمالين في الحفر وغيرهم في كل وقت يصرخون على الأمراء في طلب هدمها وهم يتعافلون عنهم إلى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة والعمل من الحفر بطال فتجمع عدّة من غوغاء العامّة بغير مرسوم السلطان وقالوا بصوت عال مرتفع الله أكبر ووضعوا أيديهم بالمساحي ونحوها في كنيسة الزهريّ وهدموا حتى بقيت كوماً وقتلوا من كان فيها من النصارى وأخذوا جميع ما كان فيها وهدموا كنيسة بومنا التي كانت بالحمراء وكانت معظمة عند النصارى من قديم الزمان وبها عدّة من النصارى قد انقطعوا فيها ويحمل إليهم نصارى مصر سائر ما يحتاج إليه ويبعث إليها بالنذور الجليلة والصدقات الكثيرة فوجد فيها مال كثير ما بين نقد ومصاغ وغيره وتسلق العامّة إلى أعلاها وفتحوا أبوابها وأخذوا منها مالاً وقمائنًا وجرار خمر فكان أمرًا مهولًا.

ثم مضوا من كنيسة الحمراء بعدما هدموها إلى كنيستين بجوار السبع سقايات تُعرف إحدهما بكنيسة البنات كان يسكنها بنات النصارى وعدّة من الرهبان فكسروا أبواب الكنيستين وسبوا البنات وكنّ زيادة على ستين بنتاً وأخذوا ما عليهنّ من الثياب ونهبوا سائر ما ظفروا به وحرّقوا وهدموا تلك الكنائس كلها هذا والناس في صلاة الجمعة فعندما خرج الناس من الجوامع شاهدوا هولاً كبيراً من كثرة الغبار ودخان الحريق ومرج الناس وشدة حركاتهم ومعهم ما نهبوه فما شبه الناس الحال لهوله إلا بيوم القيامة وانتشر الخبر وطار إلى الرميّة تحت قلعة الجبل فسمع السلطان ضجة عظيمة ورجة منكرة أفرّته فبعث لكشف الخبر فلما بلغه ما وقع انزعج انزعاجاً عظيماً وغضب من تجرّي العامّة وإقدامهم على ذلك بغير أمره وأمر الأمير أيدغمش أمير اخور أن يركب بجماعة الأوشاقية ويتدارك هذا الخلل ويقبض على من فعله فأخذ أيدغمش يتهيأ للركوب وإذا بخبر قد ورد من القاهرة أن العامّة ثارت في القاهرة وخرّبت كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة وجاء الخبر من مدينة مصر أيضاً بأن العامّة قامت بمصر في جمع كثير جداً وزحفت إلى كنيسة المعلقة بقصر الشمع فأغلقها النصارى وهم محصورون بها وهي على أن توخذ فتزايد غضب السلطان وهم أن يركب بنفسه ويبطش بالعامّة ثم تأخر لما راجعه الأمير أيدغمش ونزل من القلعة في أربعة من الأمراء إلى مصر وركب الأمير بيبرس الحاجب والأمير الماس الحاجب إلى موضع الحفر وركب الأمير طينال إلى القاهرة وكل منهم في عدّة وافرّة وقد أمر السلطان بقتل من قدروا عليه من العامّة بحيث لا يعفو عن أحد فقامت القاهرة ومصر على ساق وفرّت النهاية فلم يظفر الأمراء منهم إلا بمن عجز عن الحركة بما غلبه من السكر بالخمير الذي نهبه من الكنائس ولحق الأمير أيدغمش بمصر وقد ركب الوالي إلى المعلقة قبل وصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر للنهب فأخذه الرجم حتى فرّ منهم ولم يبق إلا أن يُحرق باب الكنيسة فجرّد أيدغمش ومن معه السيوف يريدون

الفتك بالعامّة فوجدوا عالمًا لا يقع عليه حصر وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل وأمر أصحابه بإرجاف العامّة من غير إهراق دم ونادى مناديه: من وقف حُلّ دمه.

ففرّ سائر من اجتمع من العامّة وتفرقوا وصار أيدغمش واقفًا إلى أن أدنّ العصر خوفًا من عود العامّة ثم مضى وألزم والي مصر أن يبني بأعوانه هناك وترك معه خمسين من الأوشاقية.

وأما الأمير الماس فإنه وصل إلى كنائس الحمراء وكنائس الزهري ليتداركها فإذا بها قد بقيت كيميائيًا ليس بها جدار قائم فعاد وعاد الأمراء فردّوا الخبر على السلطان وهو لا يزداد إلا حنقًا فما زالوا به حتى سكن غضبه وكان الأمر في هدم هذه الكنائس عجبًا من العجب وهو أن الناس لما كانوا في صلاة الجمعة من هذا اليوم بجامع قلعة الجبل فعندما فرغوا من الصلاة قام رجل موله وهو يصيح من وسط الجامع: اهدموا الكنيسة التي في القلعة اهدمواها.

وأكثر من الصياح المزعج حتى خرج عن الحدّ ثم اضطرب.

فتعجب السلطان والأمراء من قوله ورسم لنقيب الجيوش والحاجب بالفحص عن ذلك فمضيا من الجامع إلى خرائب التتر من القلعة فإذا فيها كنيسة قد بُنيت فهدموا ولم يفرغوا من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائس الحمراء والقاهرة فكثرت تعجب السلطان من شأن ذلك الفقير وطلب فلم يوقف له على خبر وانفق أيضًا بالجامع الأزهر أن الناس لما اجتمعوا في هذا اليوم لصلاة الجمعة أخذ شخصًا من الفقراء مثل الرعدة ثم قام بعدما أذن قبل أن يخرج الخطيب وقال: اهدموا كنائس الطغيان والكفرة نعم الله أكبر فتح الله ونصر.

وصار يزعج نفسه ويصرخ من الأساس إلى الأساس فحذق الناس بالنظر إليه ولم يدروا ما خبره وافترقوا في أمره.

فقائل هذا مجنون وقائل هذه إشارة لشيء.

فلما خرج الخطيب أمسك عن الصياح وطلب بعد انقضاء الصلاة فلم يوجد.

وخرج الناس إلى باب الجامع فرأوا النهاية ومعهم أخشاب الكنائس وثياب النصارى وغير ذلك من النهوب فسألوا عن الخبر فقيل: قد نادى السلطان بخراب الكنائس فظن الناس الأمر كما قيل حتى تبين بعد قليل أن هذا الأمر إنما كان من غير أمر السلطان وكان الذي هُدم في هذا اليوم من الكنائس بالقاهرة كنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستين بحارة زويلة.

وفي يوم الأحد الثالث من يوم الجمعة الكائن فيه هدم كنائس القاهرة ومصر ورد الخبر من الأمير بدر الدين بيلبك المحسني والي الإسكندرية بأنه لما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر بعد صلاة الجمعة وقع في الناس هرج وخرجوا من الجامع وقد وقع الصياح: هُدمت الكنائس - فركب المملوك من فورهِ فوجد الكنائس قد صارت كومة وعدتها أربع كنائس وأن بطاقة وقعت من والي البحيرة بأن كنيستين في مدينة دمنهور هدمتا والناس في صلاة الجمعة من هذا اليوم فكثرت التعجب من ذلك إلى أن ورد في يوم الجمعة سادس عشرة الخبر من مدينة قوص بأن الناس عندما فرغوا من صلاة الجمعة في اليوم التامع من شهر ربيع الآخر قام رجل من الفقراء وقال يا فقراء اخرجوا إلى هدم الكنائس وخرج في جمع من الناس فوجدوا الهدم قد وقع في الكنائس فهدمت ست كنائس كانت بقوص وما حولها في ساعة واحدة وتواتر الخبر من الوجه القبلي والوجه البحري بكثرة ما هدم في هذا اليوم وقت صلاة الجمعة وما بعدها من الكنائس والأديرة في جميع إقليم مصر كله ما بين قوص

والإسكندرية ودمياط فاشتدّ حنق السلطان على العامة خوفاً من فساد الحال وأخذ الأمراء في تسكين غضبه وقالوا: هذا الأمر ليس من قدرة البشر فعله ولو أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصورة لما قدر عليه وما هذا إلا بأمر الله سبحانه وبقدرة لما علم من كثرة فساد النصارى وزيادة طغيانهم ليكون ما وقع نقمة وعذاباً لهم هذا والعامة بالقاهرة ومصر قد اشتدّ خوفهم من السلطان لما كان يبلغهم عنه من التهديد لهم بالقتل ففرّ عدّة من الأوباش والغوغاء وأخذ القاضي فخر الدين ناظر الجيش في ترجيع السلطان عن الفتك بالعامة وسياسة الحال معه وأخذ كريم الدين الكبير ناظر الخاص يغزبه بهم إلى أن أخرجه السلطان إلى الإسكندرية بسبب تحصيل المال وكشف الكنائس التي خربت بها.

فلم يمض سوى شهر من يوم هدم الكنائس حتى وقع الحريق بالقاهرة ومصر في عدّة مواضع وحصل فيه من الشناعة أضعاف ما كان من هدم الكنائس فوق الحريق في ربيع بخر الشوايين من القاهرة في يوم السبت عاشر جمادى الأولى وسرت النار إلى ما حوله واستمرت إلى آخر يوم الأحد فنتلف فبم هذا الحريق شيء كثير وعندما أطفئ وقع الحريق بحارة الديلم في زقاق العريسة بالقرب من دور كريم الدين ناظر الخاص في خامس عشري جمادى الأولى وكانت ليلة شديدة الريح فسرت النار من كل ناحية حتى وصلت إلى بيت كريم الدين وبلغ ذلك السلطان فانزعج انزعاجاً عظيماً لما كان هناك من الحواصل السلطانية وسير طائفة من الأمراء لإطفائه فجمعوا الناس لإطفائه وتكاثروا عليه وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين إلى ليلة الثلاثاء فتزايد الحال في اشتعال النار وعجز الأمراء والناس عن إطفائها لكثرة انتشارها في الأماكن وقوة الريح التي ألقّت باسقات النخل وغرقت المراكب فلم يشك الناس في حريق القاهرة كلها وصعدوا المآذن وبرز الفقراء وأهل الخير والصلاح وضجوا بالتكبير والدعاء وجأروا وكثر صراخ الناس وبكاؤهم وصعد السلطان إلى أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدة الريح واستمرّ الحريق والاستحثاث يرد على الأمراء من السلطان في إطفائه إلى يوم الثلاثاء فنزل نائب السلطان ومعه جميع الأمراء وسائر السقائين ونزل الأمير بكتمر الساقى فكان يوماً عظيماً لم ير الناس أعظم منه ولا أشد هولاً ووكّل بأبواب القاهرة من يرد السقائين إذا خرجوا من القاهرة لأجل إطفاء النار فلم يبق أحد من سقائي الأمراء وسقائي البلد إلا وعمل وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات وأخذ جميع التجارين وسائر البنائين لهدم الدور فهدم في هذه النوبة ما شاء الله من الدور العظيمة والرباع الكبيرة وعمل في هذا الحريق أربعة وعشرون أميراً من الأمراء المقدمين سوى من عداهم من أمراء الطبليخانات والعشراوات والمماليك وعمل الأمراء بأنفسهم فيه وصار الماء من باب زويلة إلى حارة الديلم في الشارع بحرّاً من كثرة الرجال والجمال التي تحمل الماء ووقف الأمير بكتمر الساقى والأمير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده بدرب الرصاصي وخربوا ستة عشر داراً من جوار الدار وقبالتها حتى تمكنوا من نقل الحواصل فما هو إلا أن كمل إطفاء الحريق ونقل الحواصل وإذا بالحريق قد وقع في ربع الظاهر خارج باب زويلة وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتاً وتحتة قيسارية تُعرف بقيسارية الفقراء وهب مع الحريق ريح قوية فركب الحاجب والوالي لإطفائه وهدموا عدّة دور من حوله حتى انطفأ فوق في ثاني يوم حريق بدار الأمير سلار في خط بين القصرين ابتداءً من الباذنج وكان ارتفاعه عن الأرض مائة ذراع بالعمل فوق الاجتهاد فيه حتى أطفئ فأمر السلطان الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة والأمير ركن الدين بيبرس الحاجب بالاحتراز واليقظة ونودي بأن يُعمل عند كل حانوت دنّ فيه ماء أو زير مملوء بالماء وأن يُقام مثل ذلك في جميع الحارات والأزقة والدروب فبلغ ثمن كل دنّ خمس دراهم بعد درهم وثمان الزير ثمانية دراهم ووقع حريق بحارة الروم وعدّة مواضع حتى أنه لم يخل يوم من وقوع الحريق في موضع فتنبه الناس لما نزل بهم وظنوا أنه من أفعال النصارى وذلك أن النار كانت ترى في منابر الجوامع وحيطان المساجد والمدارس فاستعدوا للحريق وتبّعوا الأحوال حتى وجدوا هذا



الحريق من نطف قد لف عليه خرق مبلولة بزيت وقطران.

فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى قبض على راهبين عندما خرجا من المدرسة الكهارية بعد العشاء الآخرة وقد اشتعلت النار في المدرسة ورائحة الكبريت في أيديهما فحُملا إلى الأمير علم الدين الخازن والي القاهرة فأعلم السلطان بذلك فأمر بعقوبتهما فما هو إلا أن نزل من القلعة وإذا بالعامّة قد أمسكوا نصرانيًا وجد في جامع الظاهر ومعه خرق على هيئة الكعكة في داخلها قطران ونطف وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر وما زال واقفًا إلى أن خرج الدخان فمشى يريد الخروج من الجامع وكان قد فطن به شخص وتأمله من حيث لم يشعر به النصرانيّ فقبض عليه وتكاثر الناس فجرّوه إلى بيت الوالي وهو بهيئة المسلمين فعوقب عند الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب فاعترف بأن جماعة من النصارى قد اجتمعوا على عمل نطف وتفريقه مع جماعة من أتباعهم وأنه ممن أعطي ذلك وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا أنهما من سكان دير البغل وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة غيرة وحنقًا من المسلمين لما كان من هدمهم للكنائس وأن طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مألًا جزيلاً لعمل هذا النطف.

واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الإسكندرية فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى فقال: النصارى لهم بطرك يرجعون إليه ويعرف أحوالهم فرسم السلطان بطلب البطرک عند كريم الدين ليتحدّث معه في أمر الحريق وما ذكره النصارى من قيامهم في ذلك فجاء في حماية والي القاهرة في الليل خوفًا من العامة فلما أن دخل بيت كريم الدين بحارة الديلم وأحضر إليه الثلاثة النصارى من عند الوالي قالوا لكريم الدين بحضرة البطرک والوالي جميع ما اعترفوا به قبل ذلك فبكى البطرک عندما سمع كلامهم وقال: هؤلاء سفهاء النصارى قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس وانصرف من عند كريم الدين مبجلًا مكرّمًا فوجد كريم الدين قد أقام له بغلة على بابه ليركبها فركبها وسار فعظم ذلك على الناس وقاموا عليه يدًا واحدة فلولا أن الوالي كان يسايره وإلا هلك وأصبح كريم الدين يريد الركوب إلى القلعة على العادة فلما خرج إلى الشارع صاحت به العامّة ما يحلّ لك يا قاضي تحامي للنصارى وقد أحرقوا بيوت المسلمين وتركبهم بعد هذا البغال فشق عليه ما سمع وعظمت نكابته واجتمع بالسلطان فأخذ يهوّن أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء وجهال فرسم السلطان للوالي بتشديد عقوبتهم فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمة فاعترفوا بأن أربعة عشر راهبًا بدير البغل قد تحالفوا على إحراق ديار المسلمين كلها وفيهم راهب يصنع النطف وأنهم اقتسموا القاهرة ومصر فجعل للقاهرة ثمانية ولمصر ستة فكبس دير البغل وقبض على من فيه وأحرق من جماعته أربعة بشارع صليبية جامع ابن طولون في يوم الجمعة وقد اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم فضرى من حينئذٍ جمهور الناس على النصارى وقتكوا بهم وصاروا يسلبون ما عليهم من الثياب حتى فحش الأمر وتجاوزوا فيهم المقدار فغضب السلطان من ذلك وهم أن يوقع بالعامّة واتفق أنه ركب من القلعة يريد الميدان الكبير في يوم السبت فرأى من الناس أمما عظيمة قد ملأت الطرقات وهم يصيحون نصر الله الإسلام أنصر دين محمد بن عبد الله.

فخرج من ذلك وعندما نزل الميدان أحضر إليه الخازن نصرانيين قد قبض عليهما وهما يحرقان الدور فأمر بتحريقهما فأخرجا وعُمل لهما حفرة وأحرقا بمرأى من الناس وبيننا هم في إحراق النصرانيين إذا بديوان الأمير بكتمر الساقى قد مرّ يريد بيت الأمير بكتمر وكان نصرانيًا فعندما عاينه العامّة ألقوه عن دابته إلى الأرض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه في النار فصاح بالشهادتين وأظهر الإسلام فأطلق.

واتفق مع هذا مرور كريم الدين وقد ليس التشريف من الميدان فرجمه من هنالك رجماً متتابعًا وصاحوا به: كم تحامي للنصارى وتشدّ معهم ولعنوه وسبّوه فلم يجد بدأ من العود إلى السلطان وهو

بالميدان وقد اشتدّ ضجيج العامة وصياحهم حتى سمعهم السلطان فلما دخل عليه وأعلمه الخبر امتلأ غضبًا واستشار الأمراء وكان بحضرته منهم الأمير جمال الدين نائب الكرك والأمير سيف الدين البوبكريّ والخطيريّ وبكتمر الحاجب في عدّة أخرى فقال أبو بكريّ: العامة عُميّ والمصلحة أن يخرج إليهم الحاجب ويسألهم عن اختيارهم حتى يعلم.

فكره هذا من قوله السلطان وأعرض عنه.

فقال نائب الكرك: كل هذا من أجل الكتاب النصارى فإن الناس أبغضوهم والرأي أن السلطان لا يعمل في العامة شيئاً وإنما يعزل النصارى من الديوان.

فلم يعجبه هذا الرأي أيضاً وقال للأمير الماس الحاجب: امض ومعك أربعة من الأمراء وضع السيف في العامة من حين تخرج من باب الميدان إلى أن تصل إلى باب زويلة واضرب فيهم بالسيف من باب زويلة إلى باب النصر بحيث لا ترفع السيف عن أحد البتة.

وقال لوالي القاهرة: اركب إلى باب اللوق وإلى باب البحر ولا تدع أحداً حتى تقبض عليه وتطلع به إلى القلعة ومتى لم تحضر الذين رجموا وكيلى يعني كريم الدين وإلا وحياة رأسي شنقتك عوضاً عنهم وعين معه عدّة من المماليك السلطانية فخرج الأمراء بعدما تلكأوا في المسير حتى اشتهر الخبر فلم يجدوا أحداً من الناس حتى ولا غلمان الأمراء وحواشيهم ووقع القول بذلك في القاهرة فغلقت الأسواق جميعها وحل بالناس أمر لم يُسمع بأشدّ منه وسار الأمراء فلم يجدوا في طول طريقهم أحداً إلى أن بلغوا باب النصر وقبض الوالى من باب اللوىّ وناحية بولاق وباب البحر كثيراً من الكلابزية والنواتية وأسقاط الناس فاشتدّ الخوف وعدى كثير من الناس إلى البرّ الغربيّ بالجيزة وخرج السلطان من الميدان فلم يجد في طريقه إلى أن صعد قلعة الجبل أحداً من العامة وعندما استقرّ بالقلعة سيّر إلى الوالى يستعجل حضوره فما غربت الشمس حتى أحضر ممن أمسك من العامة نحو مائتي رجل فعزل منهم طائفة أمر بشنقهم وجماعة رسم بتوسيطهم وجماعة رسم بقطع أيديهم فصاحوا بأجمعهم: يا خوند ما يحلّ لك ما نحن الذين رجمنا فبكى الأمير بكتمر الساقى ومن حضر من الأمراء رحمة لهم وما زالوا بالسلطان إلى أن قال للوالى: اعزل منهم جماعة وانصب الخشب من باب زويلة إلى تحت القلعة بسوق الخيل وعلق هؤلاء بأيديهم.

فلما أصبح يوم الأحد علق الجميع من باب زويلة إلى سوق الخيل وكان فيهم من له بزة وهينة ومرّ الأمراء بهم فتوجعوا لهم وبكوا عليهم ولم يفتح أحد من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر في هذا اليوم حانوتاً وخرج كريم الدين من داره يريد القلعة على العادة فلم يستطع المرور على المصلوبين وعدل عن طريق باب زويلة وجلس السلطان في الشباك وقد أحضر بين يديه جماعة ممن قبض عليهم الوالى فقطع أيدي وأرجل ثلاثة منهم والأمراء لا يقدرّون على الكلام معه في أمرهم لشدة حنقه فتقدّم كريم الدين وكشف رأسه وقبّل الأرض وهو يسأل العفو نقبل سؤاله وأمر بهم أن يعملوا في حفير الجيزة فأخرجوا وقد مات ممن قطع أيديهم اثنان وأنزل المعلقون من على الخشب.

وعندما قام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق في جهة جامع ابن طولون وفي قلعة الجبل وفي بيت الأمير ركن الدين الأحمدى بحارة بهاء الدين وبالفندق خارج باب البحر من المقس وما فوقه من الربع وفي صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم فتائل النقط فأحضروا إلى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم واستمرّ الحريق في الأماكن إلى يوم السبت فلما ركب السلطان إلى الميدان على عادته وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبغوا خرقة بلون أزرق وعلموا فيها صليباً بيضاً وعندما رأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لا دين إلا

دين الإسلام نصر الله دين محمد بن عبد الله يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام انصرنا على أهل الكفر ولا تنصر النصارى.

فارتجت الدنيا من هول أصواتهم وأوقع الله الرعب في قلب السلطان وقلوب الأمراء وسار وهو في فكر زائد حتى نزل بالميدان وصراخ العامة لا يبطل فرأى أن الرأي نى استعمال المداراة وأمر الحاجب أن يخرج وينادي بين يديه: من وجد نصرانيًا فله ماله ودمه.

فخرج ونادى بذلك فصاحت العامة وصرخت: نصرك الله.

وضجوا بالدعاء وكان النصارى يلبسون العمام البيضاء فنودي في القاهرة ومصر من وجد نصرانيًا بعمامة بيضاء حلّ له دمه وماله ومن وجد نصرانيًا ركبًا حلّ له دمه وماله وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء وأن لا يركب أحد منهم فرسًا ولا بغلاً ومن ركب حمارًا فليركبه مقلوبًا ولا يدخل نصراني الحمام إلا وفي عنقه جرس ولا يتزيا أحد منهم بزّي المسلمين ومنع الأمراء من استخدام النصارى وخرجوا من ديوان السلطان.

وكتب لسائر الأعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى وكثر إيقاع المسلمين بالنصارى حتى تركوا السعي في الطرقات وأسلم منهم جماعة كثيرة وكان اليهود قد سكت عنهم في هذه المدة فكان النصراني إذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها حتى يسلم من العامة واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودي مبلغ أربعة آلاف درهم نقرة فصار إلى بيت اليهودي وهو متكرر في الليل ليطالبه فأمسكه اليهودي وقال: أنا بالله وبالمسلمين وصاح.

فاجتمع الناس لأخذ النصراني ففر إلى داخل بيت اليهودي واستجار بامرأته وأشهد عليه بإبراء اليهودي حتى خلص منه وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق يعملون النفط لإحراق الأماكن فقبض عليهم وسمروا ونودوا في الناس بالأمان وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان إلى الميدان وذلك أنهم كانوا قد تخوفوا على أنفسهم لكثرة ما أوقعوا بالنصارى وزادوا في الخروج عن الحد فاطمأنوا وخرجوا على العادة إلى جهة الميدان ودعوا للسلطان وصاروا يقولون نصرك الله يا سلطان الأرض اصطالحنا اصطالحنا وأعجب السلطان ذلك وتبسم من قولهم وفي تلك الليلة وقع حريق في بيت الأمير الماس الحاجب من القلعة وكان الريح شديدًا فقويت النار وسرت إلى بيت الأمير ايتمش فانزعج أهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها احترقت ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة فإنه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع في سوق الشوايين وزقاق العريسة بحارة الديلم وستة عشر بيتًا بجوار بيت كريم الدين وعدة أماكن بحارة الروم ودار بهادر بجوار المشهد الحسيني وأماكن باصطبل الطارمة وبدرب العسل وقصر أمير سلاح وقصر سلار بخط بين القصرين وقصر بيسرى وخان الحجر والجمالون وقيسارية الأدم ودار بييرس بحارة الصالحية ودار ابن المغربي بحارة زويلة وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبيشكر وفي قلعة الجبل وفي كثير من الجوامع والمساجد إلى غير ذلك من الأماكن بمصر والقاهرة يطول عددها.

وخرّب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل وكنيسة الزهري في الموضع الذي فيه الآن البركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة بجوار السبع سقايات تعرف بكنيسة البنات وكنيسة أبي المنيا وكنيسة الفهادين بالقاهرة وكنيسة بحارة الروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيسة بحارة زويلة وكنيسة بخزانة البنود وكنيسة بالخنق وأربع كنائس بثغر الإسكندرية وكنيسة بمدينة دمهور الوحش وأربع كنائس بالغربية وثلاث كنائس بالشرقية وست كنائس بالهنساوية وبسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس وبقوص وأسوان إحدى عشرة كنيسة وبالأطفيحية كنيسة وبسوق

وردان من مدينة مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس وخرّب من الديارات شيء كثير وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد وكانت هذه الخطوب الجليلة في مدّة يسيرة.

قلما يقع مثلها في الأزمان المتطاولة هلك فيها من الأنفس وتلف فيها من الأموال وخرّب من الأماكن ما لا يمكن وصفه لكثرتة والله عاقبة الأمور.

كنيسة ميكايل: هذه الكنيسة كانت عند خليج بي وائل خارج مدينة مصر قبلي عقبة يحصب وهي الآن قريبة من جسر الأفرم أحدثت في الإسلام وهي مليحة البناء.

كنيسة مريم: في بساتين الوزير قبليّ بركة الحبش خالية ليس بها أحد.

كنيسة مريم: بناحية العدوية من قبليها قديمة وقد تلاشت.

كنيسة أنطونيوس: بناحية بياض قبليّ اطفيح وهي محدثة.

وكان بناحية شرنوب عدّة كنائس خربت وبقي بناحية أهريت الجبل قبليّ بياض بيومين.

كنيسة السيدة: بناحية أشكر وعلى بابها برج مبنيّ بلبن كبار يذكر أنه موضع ولد موسى بن عمران عليه السلام.

كنيسة مريم وكنيسة بنخس القصير وكنيسة غبريال: هذه الكنائس الثلاث بناحية أنبوب.

كنيسة أسبوطير ومعناه المخلص: هذه الكنيسة بمدينة اخميم وهي كنيسة معظمة عندهم وهي على اسم الشهداء وفيها بئر إذا جعل مأوها في القنديل صار أحمر قانيًا كأنه الدم.

كنيسة ميكايل: بمدينة اخميم أيضًا ومن عادة النصارى بهاتين الكنيستين إذا عملوا عيد الزيتونة المعروف بعيد الشعانين أن يخرج القسوس والشمامسة بالمجامر والبخور والصلبان والأنجيل والشموع المشعلة ويقفوا على باب القاضي ثم أبواب الأعيان من المسلمين فيبخروا ويقروؤوا فصلًا من الإنجيل ويطرحوا له طرحًا يعني يمدحونه.

كنيسة بوبخوم: بناحية اتفه وهي آخر كنائس الجانب الشرقيّ وبخوم ويقال بخوميوس كان راهبًا في زمن بوشنودة ويقال له أبو الشركة من أجل أنه كان يربي الرهبان فيجعل لكل راهبين معلمًا وكان لا يمكن من دخول الخمر ولا اللحم إلى ديره ويأمر بالصوم إلى آخر التاسعة من النهار ويُطعم رهبانه الحمص المسلوق ويقال له عندهم حمص القلة وقد خرب ديره وبقيت كنيسته هذه باتفه قبليّ اخميم.

كنيسة مرقص الإنجيليّ: بالجيزة خربت بعد سنة ثمانمائة ثم عمرت.

ومرقص هذا أحد الحواريين وهو صاحب كرسيّ مصر والحبشة.

كنيسة بوجرج: بناحية أبي النمرس من الجيزة هُدمت في سنة ثمانين وسبعائة كما تقدّم ذكره ثم

أعيدت بعد ذلك.

كنيسة بوفار: آخر أعمال الجيزة.

كنيسة شنودة: بناحية هر بشت.

كنيسة بوجرج: بناحية ببا وهي جليلة عندهم يأتونها بالنذور ويحلفون بها ويحكون لها فضائل متعدّدة.

### ▲ كنيسة ماروطا القديس

: بناحية شمسطا وهم بيالغون في ماروطا هذا وكان من عظماء رهبانهم وجسده في انبوية بدير بوبشاء من برية شيهات يزورونه إلى اليوم.

كنيسة مريم بالبهناس: ويقال أنه كان بالبهنسا ثلاثمائة وستون كنيسة خربت كلها ولم يبق بلا إلا هذه الكنيسة لا غير.

كنيسة صمويل: الراهب بناحية شبري.

كنيسة مريم: بناحية طنبدى وهي قديمة.

كنيسة ميخائيل: بناحية طنبدى وهي كبيرة قديمة وكان هناك كنائس كثيرة خربت وكثر أهل طنبدى نصارى أصحاب صنائع.

كنيسة مريم: بناحية اشنين أيضا وهي قديمة.

كنيسة ميخائيل وكنيسة غبريال: بناحية اشنين أيضا وكان بهذه الناحية مائة وستون كنيسة خربت كلها إلا هذه الكنائس الأربع وأكثر أهل اشنين نصارى وعليهم الدرك في الخفارة وبظاها آثار كنائس يعملون فيها أعيادهم منها كنيسة بوجرج وكنيسة مريم وكنيسة ماروطا وكنيسة بربارة وكنيسة كفريل وهو جبريل عليه السلام.

وفي منية ابن خصيب ست كنائس: كنيسة المعلقة وهي كنيسة السيدة وكنيسة بطرس وبولص وكنيسة ميخائيل وكنيسة بوجرج وكنيسة انيابولا الطمويهي وكنيسة الثلاث فتية وهم حنانيا وعزاريا وميصائيل وكانوا أجنادا في أيام بخت نصر فعبدوا الله تعالى خفية فلما عثروا عليهم راودهم بخت نصر أن يرجعوا إلى عبادة الأصنام فامتنعوا من ذلك فسجنهم مدة ليرجعوا فلم يرجعوا فأخرجهم وألقاهم في النار فلم تحرقهم والنصارى تعظمهم وإن كانوا قبل المسيح بدهر.

كنيسة بناحية طحا: على اسم الحواريين الذين يقال لهم عندهم الرسل.

كنيسة مريم: بناحية طحا أيضا.

كنيسة الحكيمين: بناحية منهري لها عيد عظيم في بشنس يحضره الأسقف ويقام هناك سوق كنيسة

السيدة: بناحية بقرقاس قديمة كبيرة.

وبناحية ملوى كنيسة كنيسة الرسل وكنيستان خراب إحداهما على اسم بوجرج والأخرى على اسم الملك ميخائيل.

وبناحية دلجة كنائس كثيرة لم يبق منها إلا ثلاث كنائس: كنيسة السيدة وهي كبيرة.

وكنيسة شنودة وكنيسة مرقورة وقد تلاشت كلها.

وبناحية صنبو كنيسة انابولا وكنيسة بوجرج وصنبو كثيرة النصارى.

وبناحية ببلاو وهي بحري صنبو كنيسة قديمة بجانبها الغربي على اسم جرجس وبها نصارى كثيرون فلاحون.

وبناحية دروط كنيسة وفي خارجها شبه الدير على اسم الراهب ساراماتون وكان في زمان شنودة وعمل أسقفًا وله أخبار كثيرة.

وبناحية بوق بنى زيد كنيسة كبيرة على اسم الرسل ولها عيد.

وبالقوصية كنيسة مريم وكنيسة غبريال وبناحية دمشير كنيسة الشهيد مرقوريوس وهي قديمة وبها عدة نصارى.

وبناحية أم القصور كنيسة بوبخنس القصير وهي قديمة.

وبناحية بلوط من ضواحي منفلوط كنيسة ميخائيل وهي صغيرة.

وبناحية البلاعزة من ضواحي منفلوط كنيسة صغيرة يقيم بها القسيس بأولاده.

وبناحية شقليل ثلاث كنائس كبار قديمة إحداها على اسم الرسل وأخرى باسم ميخائيل وأخرى باسم بومنا.

وبناحية منشأة النصارى كنيسة ميخائيل.

وبمدينة سيوط كنيسة بوسدرة وكنيسة الرسل وبخارجها كنيسة بومينا.

وبناحية درنكة كنيسة قديمة جدًا على اسم الثلاثة فتية حنانيا وعزاريا وميخائيل وهي مورد لفقراء النصارى ودرنكة أهلها من النصارى يُعرفون اللغة القبطية فيتحدّث صغيرهم وكبيرهم بها ويفسرونها بالعربية.

وبناحية ريفة كنيسة بوقلثة الطبيب الراهب صاحب الأحوال العجيبة في مداواة الرمدي من الناس وله عيد يُعمل بهذه الكنيسة.

وبها كنيسة ميخائيل أيضًا وقد أكلت الأرضة جانب ريفة الغربي.

وبناحية موشة كنيسة مركبة على حمام على اسم الشهيد بقطر وبنيت في أيام قسطنطين ابن هيلانة ولها رصيف عرضه عشرة أذرع ولها ثلاث قباب ارتفاع كل منها نحو الثمانين ذراعاً مبنية بالحجر الأبيض كلها وقد سقط نصفها الغربي ويُقال أنّ هذه الكنيسة على كنز تحتها ويُذكر أنه كان من سيوط إلى موشة هذه ممشاة تحت الأرض.

وبناحية بقور من ضواحي بوتيح كنيسة قديمة للشهيد اكلوديس وهو يعدل عندهم مرقوريوس وجا أرجيوس وهو أبو جرج والإسفهسلارتا أدروس وميتاوس وكان كلوديوس أبوه من قواد ديقلطيانوس وعرف هو بالشجاعة فتنصر فأخذه الملك وعذبه ليرجع إلى عبادة الأصنام فثبت حتى قتل وله أخبار كثيرة.

وبناحية القطيعة كنيسة على اسم السيدة وكان بها أسقف يقال له الدوين بينه وبينهم منافرة فدفنوه حياً وهم من شرار النصارى معروفون بالشرّ وكان منهم نصرانيّ يُقال له جرجس ابن الراهبة تعدّى طوره فضرب رقبته الأمير جمال الدين يوسف الأستادار بالقاهرة في أيام الناصر فرج بن برقوق.

وبناحية بوتيح كنائس كثيرة قد خربت وصار النصارى يصلون في بيت لهم سرّاً فإذا طلع النهار خرجوا إلى آثار كنيسة وعملوا لها سياجاً من جريد شبه القفص وأقاموا هناك عباداتهم.

وبناحية مقروفة كنيسة قديمة لميخائيل ولها عيد في كل سنة وأهل هذه الناحية نصارى أكثرهم رعاة غنم وهم همج رعا.

وبناحية دويحة كنيسة على اسم بويخنس القصير وهي قبة عظيمة وكان بها رجل يقال له بونس عمل أسقفًا واشتهر بمعرفة علوم عديدة فتعصبوا عليه حسداً منهم له على علمه ودفنوه حياً وقد توعك جسمه.

وبالمراغة التي بين طهطا وطما كنيسة.

وبناحية قلغا كنيسة كبيرة وتعرف نصارى هذه البلدة بمعرفة السحر ونحوه وكان بها في أيام الظاهر برقوق شماس يُقال له أبصاطيس له في ذلك يد طولى ويحكى عنه ما لا أحب حكايته لغرابته وبناحية فرشوط كنيسة ميخائيل وكنيسة السيدة مارت مريم وبمدينة هوّ كنيسة السيدة وكنيسة بومنا.

وبناحية بهجورة كنيسة الرسل.

وباسنا كنيسة مريم وكنيسة ميخائيل وكنيسة يوحنا المعمدانىّ وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام.

وبنقادة كنيسة السيدة وكنيسة يوحنا المعمدانىّ وكنيسة غبريال وكنيسة يوحنا الرحوم وهو من أهل أنطاكية نوي الأموال فزهد وفرق ماله كله في الفقراء وساح وهو على دين النصرانية في البلاد فعمل أبواه عزاءه وظنوا أنه قد مات ثم قدم أنطاكية في حالة لا يُعرف فيها وأقام في كوخ على مزبلة وأقام رمقه بما يُلقى على تلك المزبلة حتى مات فلما عملت جنازته كان ممن حضرها أبوه فعرف غلاف إنجيله ففحص عنه حتى عرف أنه ابنه فدفنوه وبنى عليه كنيسة أنطاكية.

وبمدينة قفط كنيسة السيدة وكان بأصفون عدّة كنائس خربت بخرابها وبمدينة قوص عدة أديرة وعدّة كنائس خربت بخرابها وبقي بها كنيسة السيدة ولم يبق بالوجه القبلي من الكنائس سوى ما تقدم ذكرنا

وأما الوجه البحري: ففي منية صرد من ضواحي القاهرة كنيسة السيدة مريم وهي جلييلة عندهم.

وبناحية سندوة كنيسة محدثة على اسم بوجرج وبمرصفا كنيسة مستجدة على اسم بوجرج أيضاً وبسمنود كنيسة على اسم الرسل عُملت في بيت وبسناط كنيسة جلييلة عندهم على اسم الرسل وبصندفة كنيسة معتبرة عندهم على اسم بوجرج وبالريديانية كنيسة السيدة ولها قدر جليل عندهم وفي دمياط أربع كنائس للسيدة ولميخائيل وليوحنا المعمدانين ولماري جرجس ولها مجد عندهم.

وبناحية سبك العبيد كنيسة محدثة في بيت مخفي على اسم السيدة وبالنحر اوية كنيسة محدثة في بيت مخفي وفي لفانة كنيسة بوبخنس القصير وبدمنهوور كنيسة محدثة في بيت مخفي على اسم ميخائيل وبالإسكندرية المعلقة على اسم السيدة وكنيسة برجرج وكنيسة يوحنا المعمدان وكنيسة الرسل فهذه كنائس اليعاقبة بأرض مصر ولهم بغزة كنيسة مريم ولهم بالقدس القمامة وكنيسة صهيون.

وأما الملكية فلهم بالقاهرة كنيسة ماري نقولا بالبندقانيين وبمصر كنيسة غبريال الملاك بخط قصر الشمع وبها قلاية لبطركهم وكنيسة السيدة بقصر الشمع أيضاً وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بربرة بمصر وكنيسة مار يوحنا بخط دير الطين والله أعلم.

وهذا آخر الجزء الثاني وبتمامه تم الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وسلم ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا عدوان إلا على الظالمين.

قول المستعين بربه القوي محمد ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن قطة العدوي مصحح دار الطباعة المصرية بلغه الله من الخير كلّ أمنية: إن من جملة المحاسن الممدوحة بكلّ لسان وأحسن الآثار الغنيّ فضلها عن البيان التي ظهرت في أيام صاحب العز والإقبال من طبع على المرحمة والعدالة في الأقوال والأفعال واختص بحسن التبصر وسداد النظر ورعاية المصالح العامّة لأهل البدو والحضر ووهب من صفات الكمال وكمال الصفات ما تقصر دول تعداده العبارات والإشارات من هو الفرقد الثاني في أفق الصدارة العثماني عزيز الديار المصرية ذي المناقب الفاخرة السنية حضرة أفندينا الحاج عباس باشا لا زال بصولة عدله جيش المظالم يتلاشى ولا يرح قرير العين بأنجاله محفوظ الجناب نافذ القول في حاله واستقباله ولا فتية لواء عزه منشوراً ولا انفك سعيه مشكوراً طبع كتاب الخطط للعلامة المقرئ الشهير المجمع على فضله وعموم نفعه بلا تكبير كيف لا وقد جمع من تخطيط الحكومة المصرية وما يتعلق بها من المواد الجغرافية والتاريخية وذكر أصناف أهلها وولاتها وما عرض لها من تقلبات الأزمان وتغييراتها وما تضمنته من الأخلاق والعيود الصحيح منها والفاقد وما توارد عليها من الدول والحكومات واختلاف الملل والديانات وغير ذلك من الفوائد وصحيح الأدلة والشواهد وعجائب الأخبار وغرائب الآثار ما يغني الحاذق اللبيب ويكفي الماهر الأريب ويعتبر به المعترفون ويتفكه به المتأملون بل هو النديم الذي لا يمل والأنيس الذي في استصحابه تهون الكرائم وتبذل بيد أنه يتحفك من تاريخ مصر بأظرف تحفه ويمنحك من طريف جغرافيتها وتليدها ألطف طرفه ويسكنك من قصور أنبائها على غرفه وينشحك من زهر روض أخبارها شميمه وعرفه غير أنه لما كان فنّ التاريخ مع جليل نفعه وجزيل فائدته عند أبواب المعارف وعظيم وقعه قد رميت سوقه في هذه الأزمان بالكساد وتقاصرت عنه الهمم من كل حاضر وباد كان هذا الكتاب مما خيمت عليه عناكب النسيان وعزت نسخه في ديارنا حتى كاد لا يعثر بها إنسان فإنها فيها قليلة محصورة متروكة الاستعمال مهجورة فكانت مع قلتها عارية عن صحتها فكم فيها من تحريف فاحش وسقط متفاحش وغط مغل وخطا مضجر وممل ويفضي



بالفاري إلى الملل ويعوّضه عن النشاط الكسل لكن بحمد الله وعونه وعظيم فضله ومنه وبذل  
المجهود في التصحيح واستفراغ الوسع في التحرير والتنقيح جاءت النسخة المطبوعة صحيحة  
حسب الإمكان جديرة بأن تحل محل القبول والاستحسان فإن ما كان من عباراته بالتحريف سقيماً  
ولم يفهم معنى مستقيماً أجلت فيه ذهني مع قصوره وكلفته التسلق على قصوره فإن فتح له باب  
الرشاد وألهم المعنى المراد حمدت ربي حيث نلت أربي وإن كانت الأخرى وكبا زند الفهم وما  
أورى نبهت على وجه التوقف في الحاشية بالعبرة أو رقمت فيها رقماً هندیًا ليكون إلى التوقف  
إشارة وربما أشرت إلى الصواب لكن على سبيل الرجاء في الاستصواب وربما مرّ بك تعداد بعض  
أشياء يشم منها مخالفة العربية وتفصيل أمور تأباه بحسب الظاهر القواعد النحوية وعذرنا في ذلك  
أن المؤلف نقلها كذلك عن نقلها عن جريدة حساب وأثبتها على ما هي عليه في تقييدات الكتاب  
فأبقيناها على حالها ولم ننسجها على غير منوالها حرصاً على عدم التغيير في عبارات المؤلفين  
حسبما نص عليه أئمة الدين لا سيما والمعنى معه ظاهر لا يخفي على السامع والناظر ثم إنه لبعض  
الأسباب فاتني تصحيح نحو اثنتين وعشرين ملزمة من أول الجزء الأول ومثلها من أول الثاني من  
هذا الكتاب لكن إن شاء الله تعالى يحصل الإطلاع عليها والنظر بعين التأمل إليها فإن عثر فيها على  
ما يلزم التنبيه عليه والإشارة إليه نبهت عليه وأثبت ما يخص كل جزء بصلقه ليكون كل منهما  
مستوفياً لحقه هذا وكأني بمتشقق متشقق يعجل ببذاءة اللسان ولا يحقق قد استولى عليه الحسد  
فأعمى بصيرته ورفع بالذم والتشنيع عقيرته قائلًا ما لا يليق إلا به مديعاً ما هو أولى به وما درى  
الجهول أن فنّ التصحيح خطر دقيق وصاحبه بضدّ ما تبجح به جدير حقيقي ولو ذاق لعرف  
وبالعجز أفرّ واعترف وبالجملة فذمه يشهد لي بالكمال أخذًا بقول من قول: وإذا أنتك مذمتي من  
ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملٌ على أيّ والله معترف بقلة البضاعة وعدم الأهلية لهذه الصناعة  
ولكنما هي إقامات وإنما الأعمال بالنيات.

وأفوض أمري إلى اللطيف الخبير فإنه نعم المولى ونعم النصير وكان طبع هذا الكتاب بدار الطباعة  
المصرية المنشأة ببولاق القاهرة المعزية لا زالت بأنفاس الحضرة الاصفية منبعا لنشر الكتب  
النافعة العلمية تحت ملاحظة صاحب نظارتها القائم بتدبيرها وإدارتها رب القلم الذي لا يبارى  
والإنشاء الذي لا يجارى من أحرز قصب السبق في ميدان البراعة وانقاد له كلّ معنى أبي وأطاعه  
حضرة عليّ أفندي جودة بلغه الله في الدارين مأموله وقصده وكان طبعه على ذمة ملتزمة المتسبب  
بعد الطي في نشر علمه واشتهاره في الأقطار واستعماله عند أهل القرى والأمصار البازل في ذلك  
نفائس الكرائم المستصغر في استحصاله الصعائب والعظام المستنصر بمولاه في حالتي الضعف  
والأيد الخواجة رفائيل عبيد وقد وافق تاريخ تمامه وانتهاء الطبع إلى حدّ ختامه يوم الاثنين التاسع  
عشر من شهر اليمين والخير صفر الذي هو من شهور سنة ألف ومائتين وسبعين من هجرة سيد  
النبیین والمرسلین صلی الله علیه وسلم عليه وعليهم أجمعين وعلى كلّ الصحابة والتابعين ورزقنا  
بجاههم الاعتصام بحبله على الدوام ومنحنا التوفيق لما يرضيه والفوز بحسن الختام.

آمين.